باجة : كنز تونس المغمُور

ليدرز العربية

Leaders

العدد 20 • السعر : 2،5 د.ت • أوت 2017

كيف نُوقف النّزيف؟
خسائر المنشآت والمؤسّسات العموميّة
بآلاف المليارات

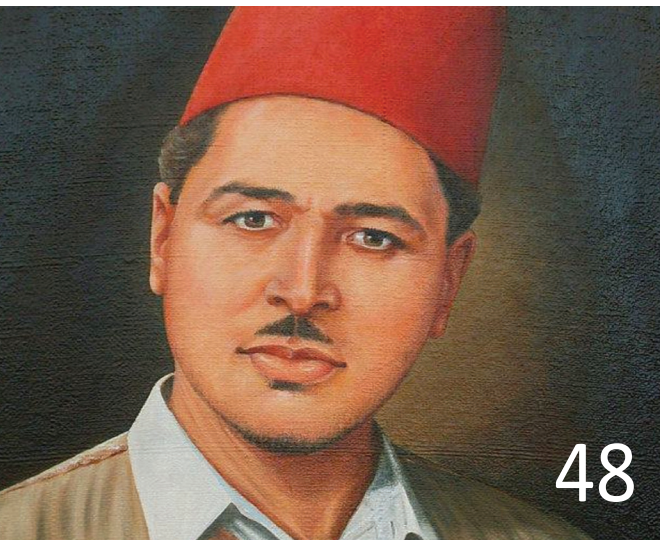

الفـهـرس

الافتتاحيّة

• الديمقراطية المتـوحّـشة والجهل المؤسَّس 4
عبد الحفيظ الهرقام

في الغلاف

• كيف نوقف النّـزيف؟

خسائر المنشآت والمؤسّسات العموميّة بآلاف المليارات 10
عبد الحفيظ الهرقام

شؤون وطنيّة

• في حديث حصري لليدرز: مستقبل تونس والتّحدّيات الكبرى في نظر الباجي قايـد السّبسي 18
توفيق الحبيّب

• ولاية باجة : كنز تونس المغمور 20
حنان زبيس

• في أربعينيّة الجنرال محمّد سعيد الكاتب : «قُدْوَتِي بِحَياتِي مُعَلِّمِي» 42
محمّد النّفطي

إقتصاد

• الدورة 51 لمعرض صفاقس الدولي: نجاح بكلّ المقاييس 44

• بالتّعاون مع برنامج الأمم المتّحدة الإنمائي PNUD : افتتاح فضاء المبادرة بتطاوين 46

مجتمع

• 13 أوت : الجازية و«الطّاهران» 48
احميدة النّيفر

• رائـــدات تـونسيّات 50
سلوى الخضّار زنقر

ليدرز العربية

مجلّة شهريّة تصدر في منتصف كلّ شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

مدير التّحرير
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التّحرير
احميده النّيفر • رشيد خشانة • محمّد العزيز ابن عاشور • عبد اللطيف الفراتي • محمّد ابراهيم الحصايري • عزالدين المدني • محمّد حسين فنطر • منى كريم الدريدي • عادل الأحمر • منذر بالضياقي • الصحبي الوهايبي• عامر بوعزّة • الحبيب الدريدي• توفيق جابر• المختار المستيسر • العادل كمّون• العادل كعنيش • علي اللواتي • يوسف قدية• عبد الدايم الصماري • سميرة شتيلة • نجاح الخرّاز

التصور والإخراج
أحمد الشارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صور
ليـــدرز حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروى مقني

التسويق والاتصال
جيهان واز • إيمان الشنوفي • بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الإسناد
شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي • لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
ساماباكت

PR Factory
مجمع النّور، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71

www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

متوفّرة على رحلات
الخطوط التونسية TUNISAIR

• **يوميّات مواطن عيّاش...مبروك الفايسبوك!** 54
عادل الأحمر

شؤون إفريقيّة

• **خارطة طريق جديدة للدبلوماسيّة التّونسيّة** 56
رشيد خشانة

شؤون عربيّة

• **المعضلة الفلسطينيّة في نظر الزّعيم الحبيب بورقيبة** 58
الشاذلي القليبي

• **اجتماع «المنامة» وتكريس «الأزمة المُستدامة»...** 62
محمّد ابراهيم الحصايري

ثقافة وفنون

• **حول تنمية الثقافة الوطنيّة** 66
رؤوف الباسطي

• **البحر ملهما للشعراء: صبوات في هيكل البحر** 70
الحبيب الدريدي

بطاقة

• **في فظل الكلام على السّكوت** 76
الصحبي الوهايبي

STAR ASSURANCES تأمينات

عمّل علينا

”النجمة اللّي عينها علينا،
تأمينـــاتها تحمينـا
كلّ ما بنينا و عـلّينا“

La STAR, Assureur leader en Tunisie

star.com.tn

الديمقراطية المتوحّشة والجهل المؤسَّس

يوم 26 أوت الجاري، تمرّ سنة كاملة على نيل حكومة يوسف الشاهد ثقة مجلس نوّاب الشعب، وقد أُريدَ لها أن تكون «حكومة وحدة وطنيّة»، مهمّتها تنفيذ «اتّفاق قرطاج». ماذا بقي اليوم من روح ذلك الاتّفاق؟ وهل أوفت كلّ الأطراف الموقّعة عليه بالتزاماتها بدعم العمل الحكومي متى كان منسجما مع ما أُقرّ من خيارات وتوجّهات مشتركة ؟ ولعلّ المفارقة العجيبة التي نلحظها، عاما بعد قيام هذه الحكومة، هي أنّ التعامل معها من قبل حزبي الأغلبيّة و بقية الأحزاب المشاركة فيها ظلّ يتغيّر حسب الظروف والمصالح الذاتية.. تعامل يتراوح أحيانا بين دعم مشروط وإمساك عن الإصداع بالموقف في ما يشبه الرفض الصامت؛ فكأنّ قدر الشاهد أن يتحمّل وحده مسؤولية الإخفاق وأن يحيل إلى حساب الغير ثمرة جهده .

وجاءت «نصيحة» راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة ليوسف الشاهد بإعلان عدم ترشّحه للانتخابات الرئاسيّة القادمة حتّى «يركّز كلّ اهتمامه على معالجة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية»، لتثير جدلا واسعا في الأوساط السياسية وتفتح أبوابا عديدة للتأويلات.

وقد اشتدّت الضغوط في الآونة الأخيرة على رئيس الحكومة لحمله على القيام بتحوير وزاري، خاصّة من قبل «نداء تونس» و«النهضة»، واقترنت تلك الضغوط بدعوة من هذين الحزبين إلى تنظيم حوار اقتصادي واجتماعي رأى فيها عدد من الملاحظين مناورة لوضع الشاهد تحت الوصاية.. دعوة سرعان ما رفضها الاتحاد العام التونسي للشغل. وقد أعطى ذلك انطباعا بأنّ تونس تعيش حالة جديدة من عدم الاستقرار السياسي، وهو ما من شأنه أن يربك عمل الإدارة وسير مؤسسات الدولة ويفتّ في عزائم إطاراتها وأعوانها في هذا الظرف الصعب الذي تمرّ به البلاد.

في الحقيقة، أصبح السعي إلى الإطاحة بالحكومة أو المطالبة بإجراء تعديل وزاري، حتّى ولو كان ذلك أسابيع أو أشهر قليلة بعد تشكيلها، بحثا عن المناصب أو ترضيةً لبعض الأطراف، أمرا مألوفا في تونس. فقد تعاقبت منذ 17 جانفي 2011 وإلى حدّ هذا اليوم تسع حكومات ضمّت أكثر من مائتي وزير وكاتب دولة!

وعلاوة على ذلك يجب ألّا نغفل عمّا طفا على السطح في السنوات الأخيرة من ممارسات ساهمت في تلويث الحياة السياسية والاجتماعية ، فإلى جانب شرعية صندوق الاقتراع، برزت في السياق الثوري «شرعيات جديدة» يُراد لها أن تتكرّس من خلال حكم الشارع والاعتصامات والتمرّد على سلطة الدولة والمؤسسات القائمة باسم الحريات والديمقراطية، وهو ما أسماه الأستاذ عياض بن عاشور بـ «الديمقراطية المتوحّشة». ومن مظاهرها، حسب رأيه ، « نزعة إلى الفئوية والتسيّس المفرط تمارسها منظمات مهنية ونقابية تنحو إلى تجاوز صلاحياتها على نطاق واسع. ثم أنّ الأحزاب السياسية تحرّكها نوازع نرجسية وشعبوية . وأصبحت المصالح الآنية أعلى شأنا وقيمة من معنى الدولة ومن البحث عن الصالح العام».

ولنا أن نستحضر في هذا الصدد الدور المتعاظم للمنظّمة الشغيلة التي تحرص على أن تكون طرفا فاعلا في معالجة مختلف القضايا الجوهرية، بيد أنّها لم تحسم بعد في العديد منها، ومن بينها إصلاح المؤسسات والمنشآت العمومية الذي نخصّص له ملفّا في هذا العدد.

في ظرفيّة حرجة، تقبل البلاد، في الأسابيع القادمة، على عودة سياسية - ولعلّها انطلقت بعد- ستكون من أبرز عناوينها :

•مدى إصرار الحكومة على الاستمرار في الحرب على الفساد والرشوة والتصدي لمحاولات إجهاضها.

•ضرورة متأكّدة لبذل قصارى الجهود في سبيل تعبئة الموارد الماليّة اللازمة لاستكمال تمويل ميزانية 2017 والإعداد لقانون الماليّة ولميزانية 2018 التي ستكون سنة صعبة على صعيد التوازنات العامّة.

•تهيئة الظروف الملائمة لتنظيم الانتخابات البلدية في موعدها المحدّد يوم 17 ديسمبر 2017 والتي سيُفتح باب الترشّح لها من 19 إلى 26 سبتمبر القادم، على الرغم من تشكيك البعض في القدرة على إجرائها في هذا الموعد.

•تركيز المحكمة الدستورية بعد تولّي رئيس الجمهورية تعيين أربعة من أعضائها، اعتبارا لمكانتها الهامّة ضمن المنظومة الدستورية الجديدة.

ومن المواعيد المنتظرة أيضا العودة المدرسية والجامعية، حيث سيأخذ أكثر من مليوني تلميذ و260 ألف طالب طريقهم إلى المدارس والمعاهد والكليات، في وقت لا تبدو فيه المؤسسة التربويّة في أفضل حال، فلم يعد خافيا على الجميع أنّ هذه المؤسسة التي راهنت عليها تونس منذ الاستقلال لتكوين نخب مقتدرة وأجيال متعلّمة تشكو اليوم من علل ونقائص جمّة، من تجلّياتها تدنّي مستوى التلاميذ والطلبة وإطار التدريس والتفاوت الصارخ في نسب النجاح في الامتحانات الوطنية بين الجهات وتفاقم ظاهرة الانقطاع المدرسي، علاوة على مواطن الضعف والقصور في البرامج والمناهج التربويّة التي لا تساهم بالقدر الكافي في نحت الشخصية المستقلّة ولا تولي الأهمية القصوى لمكانة العقل والفكر النقدي، بل أصبحت، كما تبيّنه حالات عدّة، منبتا للتطرّف والتعصّب وللجهل المؤسَّس، على حدّ تعبير المفكّر محمّد أركون.. ألم يحن الوقت للإسراع بوضع مشروع الإصلاح التربوي موضع التنفيذ حتّى ينخرط التعليم في روح العصر ويستعيد دوره مصعدا اجتماعيا ومكوّنا للكفاءات العالية ؟

قد لا نجانب الصواب إن قلنا إنّ من أوكد الأولويات اليوم العمل على تخليص تونس من فكّي كمّاشة الديمقراطية المتوحّشة والجهل المؤسَّس بناءً لمستقبل أفضل

ع.ه

بقلم عبد الحفيظ المرقام

أكثر من 708 ملايين دينار قيمة محجوزات الديوانة خلال 7 أشهر

حسب إحصائيات الإدارة العامّة للديوانة، بلغت قيمة المحجوزات، في مجال مكافحة التهريب والتجارة الموازية، 708,823 ملايين دينار، وذلك من سبتمبر 2016 إلى جوان 2017.

وتتمثّل هذه المحجوزات في عُملة وسجائر ومحروقات وعجلات مطاطية وملابس جاهزة وملابس مستعملة ومشروبات كحولية وساعات يدوية وأجهزة إلكترونية ومعادن وحيوانات مهرّبة ومواد غذائية ...

وشهدت عمليات حجز العُملة تطوّرا مطّردا من سنة 2014 إلى موفّى السداسي الأوّل من سنة 2017، حيث بلغت قيمة المحجوز بالدينار التونسي ما يفوق 66 مليونا و500 ألف دينار.

وفي ما يخصّ مكافحة المخدّرات، تمكّنت مصالح الديوانة خلال شهر أفريل الماضي من حجز 292,71 كغ من القنّب الهندي بقيمة مليون و463 ألف دينار.

العصر الذهبي للجامعة العربية

«جامعة الدول العربية من كامب ديفد إلى تونس» كتاب صدر مؤخّرا في تونس عن مؤسّسات بن عبدالله للنشر والتوزيع، من تأليف الدكتور محي الدّين المصري، وهو دبلوماسي أردني، حاصل على الدكتوراه في التاريخ السياسي، عمل مستشارا لسفارة بلاده في المغرب وفي مصر ثمّ عمل مندوبا دائما لدى منظّمة الألكسو. ولمّا نُقلت الجامعة العربية إلى تونس في سنة 1979 تولّى فيها بالخصوص عضوية اللجنة العليا للتنسيق بين الجامعة ومنظماتها المتخصّصة.

الكتاب في الأصل أطروحة جامعية أشرف عليها الأستاذ خليفة شاطر ونال بها صاحبها شهادة الدكتوراه من الجامعة التونسية، وفيه توثيق لمسيرة جامعة الدول العربية ولحصيلة إنجازاتها منذ انتقالها إلى تونس إلى حين عودتها إلى القاهرة في سنة 1990 بعد اندلاع أزمة الخليج.

ويؤرّخ المؤلف لفترة اعتبرها العديد من الملاحظين «العصر الذهبي للجامعة العربية» عندما تولّى أمانتها العامّة خلال الحقبة التونسية الأستاذ الشاذلي القليبي، وقد تناول د. محي الدّين المصري بالتحليل التحوّلات الكبرى في نهاية السبعينيات ومقدّمات النقل إلى تونس والمبادئ والقواعد التي تحكم العلاقة بين الجامعة ومنظّماتها وتطوير العمل العربي المشترك وهيكلة منظّماته، بالإضافة إلى علاقات الجامعة الخارجية والتطوّرات التي شهدتها العلاقات العربية العربية سنة 1990.

كتب مقدّمة الكتاب الأستاذ الشاذلي القليبي الذي قال فيها بالخصوص : «وشهادات الأستاذ محي الدين المصري، في كتابه، ذات أهميّة عالية، لما كان له من قرب من مصادر العمل المشترك، وما يتّصف به من دقّة نظر، وابتعاد عن أيّ تعصّب ... أجد من الحقّ أن أقول إنّ تجربة تونس كانت مرحلة عشناها بالاعتزاز، وإنّ لكلّ جيل تجاربه وحقّه في الاجتهاد، وإنّ التاريخ له الكلمة الفصل في كلّ ذلك».

أمّا الأستاذ عبد العزيز قاسم فقد اعتبر في التمهيد أنّ هذا الكتاب عربون وفاء من الدكتور محي الدين المصري لتونس التي أحبّها وأحبّته، فضلا عن قيمته العلميّة المؤكّدة.

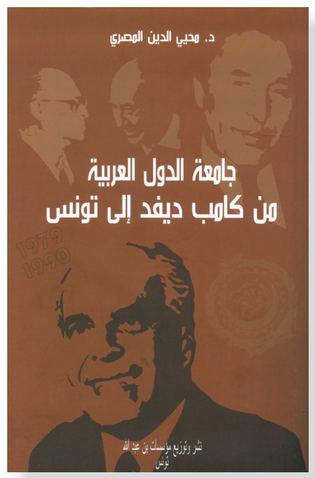

Tunisie Telecom
La vie est émotions
Partenaire technologique chifco
SMART OFFICE
GÉREZ VOTRE ENTREPRISE
À DISTANCE
Web-cam
Centrales d'énergie
Stores
Machines
Surveillance
* À partir de 49DT TTC /mois
Sous réserve d'étude de faisabilité, une offre de prix sera proposée pour tout débit supérieur à 100 Mo
1288
www.tunisietelecom.tn

تعيينان في المجلس الأعلى للجيوش

عملا بسنّة التداول على المناصب صلب المجلس الأعلى للجيوش تمّ تعيين العميد محمّد الحجّام رئيسا لأركان جيش الطيران والعميد عبد المنعم بلعاطي متفقّدا عامّا للقوّات المسلّحة بعد أن تولّى رئيس الجمهورية الباجي قايد السبسي القائد العام للقوّات المسلّحة ترقيتهما يوم غرّة أوت إلى رتبة أمير لواء.

وكان أمير اللواء محمّد الحجّام، وهو طيّار، مديرا للمركز الوطني لرسم الخرائط والاستشعار عن بعد وقبل ذلك شغل لمدّة ثلاث سنوات خطّة ملحق عسكري بسفارة تونس بواشنطن، ويخلف في منصبه الجديد أمير اللواء محمّد فؤاد العلوي الذي بلغ سنّ التقاعد بعد أن اضطلع بهذه المهّام منذ غرّة سبتمبر 2015 .

أمّا أمير اللواء عبد المنعم بلعاطي، وهو طيّار أيضا، فقد كان ملحقا عسكريًا بسفارة تونس بمدريد قبل التحاقه بالتفقدية العامّة للقوات المسلّحة. وهو يخلف أمير اللواء جمال بوجاه الذي تقلّد المنصب في غرّة سبتمبر 2015 إلى غاية بلوغه سنّ التقاعد.

التعيينات في السلك الدبلوماسي بالخارج

21 دبلوماسيًا ينتمون إلى وزارة الشؤون الخارجية، أغلبهم من الشباب، تمّ تعيينهم لأوّل مرّة في منصب سفير (14) وقنصل عام (4) وقنصل (3) في إطار الحركة الدبلوماسية السنوية.

السفراء

أبو ظبي: سمير منصر
عمّان: خالد السهيلي
أنقرة: فيصل بن مصطفى
بغداد: لطفي بعلوشي
بلغراد: سيف الله رجب
برلين : أحمد الشفرة
داكار: مهدي الفرشيشي
لندن: نبيل بن خذر
أوتاوا: عماد الترجمان
براغ: كريمة برداوي
سيول: نبيل بلعابد
ستوكهولم : معزّ المحمودي
لافاليت: زياد بوزويتة
الجزائر: الناصر الصيد

القناصل العامون

ميلانو : الناصر بن سلطانة
بون : حافظ بن رمضان
مرسيليا : سيف الدين فليس
اسطنبول : الهادي مالك

القناصل

نابولي: حامد زكري
تبسّة: محمّد الحبيب ساسي
جنوة: بيّة عبد الباقي
ملاحظة : يبقى منصب سفير تونس بفيانا شاغرا

من مظاهر العنف الاقتصادي ضدّ المرأة

في دراسة مهمّة تنشرها الزميلة ليدرز الناطقة باللغة الفرنسية، تناولت الدكتورة رياض الزغل الأشكال المتعدّدة للعنف الاقتصادي ضدّ المرأة، علما وأنّ القانون الذي صادق عليه مؤخّرا مجلس نواب الشعب المتعلّق بالقضاء على العنف ضدّ المرأة تضمّن فصولا تخصّ العنف الاقتصادي تجاهها. ويتّخذ هذا النوع من العنف أشكالا تحدّ في الآن نفسه من الحريات الإيجابية والحريات السلبية. وتتعرّض المرأة إلى عدّة أصناف من الإقصاء ومنها الإقصاء الكلّي أو الجزئي من الميراث والذي يترتّب عنه إقصاء مالي وبنكي ومن بينها كذلك الإقصاء الإحصائي الناجم عن عدم احتساب المساهمة الاقتصادية للنساء من إنتاج وخدمات غير مؤجّرة، لأنّها تعتبر واجبات منزلية. وأكّدت الدراسة أنّ النساء يساهمن بقدر كبير في الناتج الداخلي الخام بالعمل غير المؤجّر. وحسب المعهد الوطني للإحصاء بلغت نسبة مساهمة العمل المنزلي غير المؤجّر في الناتج الداخلي الخام 64 بالمائة في سنة 2006 . كما تخصّص النساء 77,6 بالمائة من ميزانية الوقت للأعمال المنزلية (الاعتناء بالأطفال والمسنّين، تنظيف المنزل وترتيبه، الطبخ، قضاء الشؤون خارج البيت، الأعمال الفلاحية) مقابل 9,4 بالمائة للرجال. واتّضح من خلال التحقيق الوطني حول السكّان والشغل الخاصّ بالثلاثي الثالث لسنة 2015 أنّ نسبة بطالة النساء حاملات الشهائد العليا (41 بالمائة) تمثّل مرّتين تقريبا نسبة بطالة الرجال حاملي هذه الشهائد (21,4 بالمائة).

ويشمل التمييز الذي يستهدف المرأة التأجير والترقيات في العمل والارتقاء إلى مراكز القرار. وحسب صندوق النقد الدولي يقدّر الفارق بين أجور الرجال وأجور النساء بنسبة 45 بالمائة تقريبا وذلك في الفترة الممتدّة من 2000 إلى 2011.

ومن ناحية أخرى، أجرى المعهد الوطني للإحصاء بين 1997 و2012 أربعة تحقيقات شملت مؤسسات تشغّل أقلّ من 10 أشخاص في القطاع غير المهيكل تبيّن من خلالها أنّ أجر المرأة يظلّ دوما أقلّ من الأجر الأدنى المضمون، في حين يتمتّع الرجل بأجر بقيمة أرفع . كما اتّضح أنّ الفارق بين معدّل الأجر الشهري للرجال ومعدّل الأجر الشهري للنساء ارتفع في الفترة نفسها من 24,5 بالمائة إلى 35,5 بالمائة.

وأكّدت دراسة أنجزها مركز البحوث والدراسات الاجتماعية في الفترة 2011 - 2012 أنّ الفارق بين أجر الرجل (614,8 د) وأجر المرأة (458,5 د) في القطاع الخاصّ المهيكل بلغ نسبة 24,5 بالمائة.

تأمينات سليم
ASSURANCES SALIM
Votre Protection...c'est notre métier !

ASSURANCE HABITATION
darna
تهنّيك عالدّار

PROFITEZ DE NOTRE OFFRE EXCLUSIVE !

DARNA EST UNE SOLUTION INDISPENSABLE ET ADAPTÉE À LA SÉCURITÉ DE VOTRE LOGEMENT. AVEC DARNA VOUS ÊTES PROTÉGÉS CONTRE TOUS LES ÉVÉNEMENTS QUI PEUVENT SURVENIR, TELS QUE LE VOL, L'INCENDIE, LES DÉGÂTS DES EAUX, LA RESPONSABILITÉ CIVILE...

MIEUX ENCORE, POUR TOUTE NOUVELLE SOUSCRIPTION À DARNA, ASSURANCES SALIM VOUS OFFRE L'ASSISTANCE DOMICILAIRE GRATUITE* POUR LA 1ÈRE ANNÉE QUI CONSISTE EN LA PRISE EN CHARGE DE PROBLÈMES URGENTS DE PLOMBERIE, VITRERIE, ELECTRICITÉ ET SERRURERIE.

(*) : OFFRE VALABLE JUSQU'AU 31/12/2016

WWW.SALIM-INS.COM | :71 184 254

كيف نوقف النّـزيف؟

خسائر المنشآت والمؤسّسات العموميّة بآلاف المليارات

إعداد عبد الحفيظ الهرقام

من الملفّات الشائكة والمعقّدة التي تعكف الحكومة على دراستها منذ نوفمبر 2015 الوضعية التنظيميّة والماليّة للمنشآت والمؤسّسات العموميّة التي أصبح العديد منها يمثل عبئا ثقيلا على الدولة وعلى الاقتصاد الوطني. ذلك أنّ النتيجة الصافية المجمّعة للمنشآت العمومية بلغت 173.2 مليون دينار سلبي سنة 2014 مقابل 1176.4 مليون دينار سنة 2010 أي بتراجع قدره 1349.6 مليون دينار، في حين سجّلت 51 منشأة عمومية منذ إحداثها وإلى غاية سنة 2010 خسائر متراكمة بما قيمته 1881.7 مليون دينار. وبلغت الخسائر المتراكمة 5445.6 مليون دينار سنة 2014 أي بزيادة بين سنتي 2010 و2014 قدرها 3563.9 مليون دينار وبنسبة 189.4 %، دون اعتبار الخسائر المتراكمة للصناديق الاجتماعية. وفي الآن نفسه، شهد دعم الدولة للمنشآت العمومية ارتفاعا ملحوظا، رغم محدودية مواردها، حيث بلغت منح الاستغلال والتوازن مستويات قياسية خلال سنتي 2013 و2014، ومقدارها 5851.5 مليون دينار سنة 2014 مقابل 2609.2 مليون دينار سنة 2010، أي بزيادة بنسبة 124.3 %، علما وأنّ الوضعية الماليّة للمنشآت العمومية للفترة التي عقبت سنة 2014 لم يتمّ بعد التدقيق فيها، ورغم غياب الأرقام فإنّ المؤشّرات تدل على مزيد تدهورها. ←

استوجبت هذه الوضعيّة الماليّة الحرجة وضع استراتيجية متعدّدة الجوانب بهدف إعادة هيكلة المؤسسات والمنشآت العمومية وتحسين مردوديتها اعتمدها مجلس وزاري في ماي الماضي، علاوة على مخطّط عمل لتنفيذها تمّ إعداده في موفّى شهر جويلية.

نسلّط الأضواء في هذا الملفّ على النتائج المستخلصة من تشخيص الوضع العام للمؤسسات والمنشآت العمومية وعلى المحاور الكبرى للاستراتيجية المعتمدة لإصلاح أوضاعها وتطوير حوكمتها والمنهجية المتّبعة في هذا الخصوص، وذلك من خلال بيانات زوّدنا بها، مشكورا، السيّد توفيق الراجحي، الوزير المستشار لدى رئيس الحكومة المكلّف برئاسة مجلس التحاليل الاقتصادية ومتابعة الإصلاحات الكبرى.

أشار السيد توفيق الراجحي إلى أنّه يصعب ضبط حدود قطاع المؤسسات والمنشآت العمومية، سيّما عند التعرض لمقترح إحداث مؤسسة أو منشأة جديدة وذلك لتعدّد أصناف المؤسسات والمنشآت العمومية وغياب تعريف واضح. ويمكن في البداية التفريق بين المنشآت العمومية والمؤسسات العمومية التي لا تكتسي صبغة إدارية (EPNA)، إلّا أن القانون (1989/9) لا يعتبر كلّ المؤسسات العمومية التي لا تكتسي صبغة إدارية منشأة عمومية لذلك يحدّد الأمر عدد 2265 لسنة 2004 المؤرخ في 27 سبتمبر 2004 قائمة هذا الصنف من المؤسسات التي تعتبر منشأة عمومية. وتعتبر منشأة عمومية على معنى قانون 74 لسنة 1996 المؤسسات التي تتوفّر فيها الخصائص الثلاث التالية:

• المؤسسات العمومية التي لا تكتسي صبغة إدارية والمضبوطة قائمتها بأمر،
• الشركات الممتلكة كليّا للدولة (100 % من رأس المال)،
• الشركات التي تمتلك الدولة أكثر من 50 % من رأس مالها كل بمفرده أو بالاشتراك عن طريق الجماعات المحلية أو المؤسسات العمومية أو الشركات العمومية التي تمتلك الدولة رأس مالها كليّا.

ضبابية قانونيّة

يجدر التذكير في هذا الصدد أنّ عددا من المؤسسات العمومية التي لا تكتسي صبغة إدارية والمضبوطة قائمتها بأمر هي ليست في الواقع بمنشآت عمومية لاقتصار نشاطها جزئيا أو كليا على أنشطة غير تجارية. لذلك تتعدّد تسميات المنشآت العمومية من ديوان أو شركة إلى مؤسسة دون أن يطابق ذلك وضعها القانوني. ثم إنّ التفرقة بين المؤسسات العمومية التي لا تكتسي صبغة إدارية، من جانب، والشركات من جانب آخر، لا تخضع لمقياس واضح. لذا من الوارد جدّا أن تصنّف بعض المنشآت العمومية الناشطة في نفس القطاع كشركة والبعض الآخر كمؤسسة عمومية لا تكتسي صبغة إدارية ومثال ذلك الشركة الوطنية للسكك الحديدية التي تنتمي إلى الصنف الأخير بينما تُعتبر كل المنشآت الأخرى للنقل شركات. إضافة الى ذلك، توجد أمثلة أخرى في القطاع الصناعي حيث تعتبر مثلا الشركة التونسية للكهرباء والغاز وكذلك الشركة التونسية لصناعات التكرير مؤسسات عمومية لا تكتسي صبغة إدارية وليست بشركات.

ولئن كان لهذه الضبابية سلبيّات إلا أنها مكّنت من تجاوز بعض العقبات في التسيير والتي تفرضها طبيعة المؤسسات العمومية. ومهما كانت المبررات فإنّ توضيح مصطلح المنشأة العمومية من وجهة نظر اقتصادية، علاوة على توحيد التسمية في اتجاه مصطلح الشركة من شأنه إيجاد مقاربة شاملة لمعالجة صعوباتها.

وتبعا للتعريف السابق فإنّ عددا من المنشآت يتمتّع بقانون أساسي للشركات وأخرى تخضع لتعريف المؤسسات العمومية التي لا تكتسي صبغة إدارية.

• المنشآت العمومية	:	104
• المؤسسات العمومية التي لا تكتسي صبغة إداريّة	:	74
• المؤسسات العمومية للصحّة	:	23
• المجموع	=	201

أهمّ النتائج المستخلصة من تشخيص الوضع العام للمنشآت العمومية

تمّ التركيز في الوثيقة التحضيرية لإعداد الاستراتيجية على المنشآت العمومية وإن كانت الحلول المقترحة بشأن إصلاح أوضاعها يمكن سحبها على كل المؤسسات العمومية خصوصا في مجال الحوكمة العامة والحوكمة الداخلية والحوار الاجتماعي.

وأفضى تشخيص الوضع العام لهذه المنشآت إلى النتائج التالية :

•بلغ عدد المنشآت العمومية 104 منشأة في موفى سنة 2014 تنشط في 21 قطاع إنتاج وخدمات وتحت إشراف 15 وزارة.
•حقّقت المنشآت العمومية قيمة مضافة بـ 7809.2 م.د سنة 2014 مقابل 7429.2 م.د سنة 2013 أي بزيادة قدرها 380.0 م.د وبنسبة 5.1 %، مساهمة بذلك بنسبة 9.5 % في تكوين الناتج المحلي الإجمالي لسنة 2014 (9.7 % سنة 2013).
•سجّلت المنشآت العمومية خلال سنة 2013 تدهورا لمؤشرات نتيجة الاستغلال والنتيجة الصافية والمردودية مقارنة بسنة 2010، ويرجع ذلك أساسا إلى تعطّل الإنتاج (إضرابات واعتصامات) ببعض المنشآت الهامة وإلى التطوّر الكبير لحجم الأجور. ←

•بلغت النتيجة الصافية المجمّعة للمنشآت العمومية 173.2 م.د سلبي سنة 2014 مقابل 1176.4 م.د سنة 2010 أي بتراجع قدره 1349.6م.د.

•سجّلت 51 منشأة عمومية منذ إحداثها وإلى غاية سنة 2010 خسائر متراكمة بما قيمته 1881.7م.د. وبلغت الخسائر المتراكمة 5445.6 م.د سنة 2014 أي بزيادة بين سنتي 2010 و2014 قدرها 3563.9 م.د وبنسبة 189.4 % دون اعتبار الخسائر المتراكمة للصناديق الاجتماعية.

•تواصل العجز الهيكلي لعدد من المنشآت العمومية (29 منشأة أموالها الذاتية سلبية) التي تتطلّب إعادة هيكلتها صياغة استراتيجيات متكاملة للنهوض بأدائها. وبلغت الأموال الذاتية سنة 2014 للمنشآت المذكورة 2251.7 م.د سلبي مقابل رؤوس أموال بقيمة 447.8 م.د خلال نفس السنة.

•تطوّر حجم الأجور بالمنشآت العمومية من 2579.9 م.د سنة 2010 إلى 3511.9 م.د سنة 2014 أي بزيادة قدرها 932 م.د وبنسبة 36.1 %. وبلغ معدل الزيادة السنوي في حجم الأجور 8.0 % خلال الفترة 2010-2014 مقابل معدّل زيادة سنوي في حجم الأجور بـ6.1 % خلال الفترة 2006 - 2010.

•شهدت نسبة الزيادة في حجم الأجور بين سنتي 2010 و2013 مستويات قياسية ببعض المنشآت تجاوزت في بعض الحالات 50.0 % على غرار شركة تونس للطرقات السيارة (133.8+ %) والشركة التونسية لصناعات التكرير(+ 97.8 %) والمجمع الكيميائي التونسي (+ 80.9 %) والصندوق الوطني للتأمين على المرض (+ 72.3 %) والوكالة الوطنية للتبغ والوقيد (+ 66.7 %) وديوان الطيران المدني والمطارات (+ 53.8 %)

•تواصل ارتفاع دعم الدولة للمنشآت العمومية حيث بلغت منح الاستغلال والتوازن مستويات قياسية خلال سنتي 2013 و2014 على الرغم من محدودية موارد الدولة (5851.5 م.د سنة 2014 مقابل 2609.2 م.د سنة 2010 أي بزيادة بنسبة 124.3 %).

ومن أهمّ أسباب تدهور الوضع المالي للعديد من المنشآت العمومية إشكاليات على مستوى الحوكمة وعلى مستوى هيكلة الشركات وعدم وجود رؤية استراتيجية واضحة يُستند إليها وتدنّي الإنتاجية والإضرابات والاحتجاجات الاجتماعية وارتفاع كلفة الإنتاج وخاصة نتيجة ارتفاع أسعار المحروقات وقطع الغيار، فضلا عن الإجراءات الإدارية المعقدة فيما يتعلّق بالصفقات العمومية والازدياد المشطّ للنفقات مقابل انخفاض رقم المعاملات وسياسات الدولة لتحديد التعريفة أو الأسعار.

جدول المؤشّرات الجملية المتعلّقة بالمنشآت العمومية خلال الفترة 2010-2014

المؤشرات	القيمة (م.د)				التغيير 2014 - 2013 (%)	التغيير 2014-2010 (%)
	2010	2012	2013	2014		
المداخيل	24242.0	27983.3	29012.0	30890.7	6.5	27.4
القيمة المضافة	7046.0	7796.9	7429.9	7809.2	5.1	10.8
نتيجة الاستغلال	2056.4	1446.6	796.2	1419.0	78.2	-31.0
النتيجة الصافية	1176.6	-191.7	-1067.6	173.2	-	-85.3
الاستثمارات	3391.6	2544.5	2760.7	2482.8	-10.1	-26.8
منح الاستغلال	2609.2	6407.0	6425.2	5851.5	-8.9	124.3
منح الاستثمار	122.4	126.2	283.4	225.5	-20.4	84.2
الأجور	2579.9	3187.6	3402.1	3511.9	3.2	36.1

المبادئ العامة لاستراتيجية الإصلاح

أوضح السيد توفيق الراجحي أنّ من المبادئ العامة التي تقوم عليها استراتيجية الإصلاح دعم القدرة التنافسية للمؤسسات والمنشآت العمومية وتجاوز وضعيتها المالية الحرجة ووضع برنامج لإعادة هيكلتها بشكل يضمن استمرارية نشاطها وتواصل تأمينها للمرافق العمومية المناطة بعهدتها في أفضل الظروف.

وأكّد ضرورة ترك كل الخيارات لإنقاذ المؤسسات والمنشآت العمومية مفتوحة للنقاش على أن تراعي مصلحة المؤسسة والمواطن وأن تحافظ على دور الدولة كمساهم في رأس المال، بالإضافة إلى إيلاء العناية اللازمة لعملية إنقاذ المؤسسات والمنشآت العمومية على المدى القريب ومعالجة وضعيتها المالية الحرجة بصفة عاجلة مع ضرورة إدراج عملية الإنقاذ ضمن تصوّر شامل يمتدّ على المدى المتوسط والبعيد.

كما لاحظ أنّه ينبغي أن ترافق كلّ عملية إنقاذ وهيكلة للمؤسسات أو المنشآت العمومية عملية إرساء لقواعد الحوكمة الرشيدة للتصرّف في هذه المؤسسات والمنشآت بشكل يمكّنها من ضمان أوفر حظوظ النجاح.

وأفاد أنّ من أهمّ مبادئ الاستراتيجية إيلاء الاهتمام اللازم للحوار الاجتماعي في كل عملية إنقاذ أوإعادة هيكلة للمؤسسات والمنشآت العمومية، فكلّما كان المناخ سليما داخلها كلّما تحسّن أداؤها.

محاور الإصلاح

يقوم إصلاح المؤسسات والمنشآت العمومية وتطوير أدائها على المحاور التالية :

1. على مستوى الحوكمة العامة

• أهميّة إحداث كتابة دولة أو هيكل إداري مركزي موحّد أو هيئة إشراف وتنسيق كوكالة وطنية للتصرّف في المساهمات العمومية أو هيئة عليا للمنشآت العمومية تضمّ على الأقلّ في مرحلة أولى وحدتي متابعة المنشآت العمومية برئاسة الحكومة والإدارة العامة للتخصيص وهيئة مراقبي الدولة.

•تحديد ونشر استراتيجية الدولة كسلطة عمومية من منطلق دورها كمساهم (l'Etat actionnaire).

•مراجعة النصوص القانونية والترتيبية المتعلقة بمنظومة الإشراف على المنشآت العمومية.

•تفعيل دور وزارات الإشراف القطاعي في تحديد السياسات القطاعية التي تتطلّب تدخل المنشآت.

•تفعيل إلزامية وثيقة عقود الأهداف أو البرامج بالنسبة إلى الطرفين المتعاقدين (الدولة والمؤسسة).

•تطوير الشفافية والإفصاح عن المعلومة ونشر الدولة بصفة دورية لمعلومات تأليفية عن المؤسسات العمومية، إضافة إلى تقرير سنوي حول التصرّف في هذه المؤسسات.

2. مستوى الحوكمة الداخلية

• فصل مهمة إدارة المنشأة عن مهمة رئاسة مجلس الإدارة لضمان مبدإ التوازن بين الهيكل التنفيذي وهيكل المداولة.

ويكون من مهام رئيس مجلس الإدارة الرقابة على أعمال التصرّف وتنظيم جلسات مجلس الإدارة والسهر على العلاقات مع المساهمين وأعضاء المجلس وسلطة الإشراف؛ في حين يتولّى المدير العام أعمال التصرف ووضع استراتيجية الشركة في المجالات الفنية والمالية والتجارية وتنفيذها بعد مصادقة مجلس الإدارة.

• تفعيل دور مجالس الإدارة وتحويلها إلى هياكل لحوكمة التصرّف داخل المنشآت.

•إعطاء الصلاحيات الكافية لمجالس الإدارة في اتخاذ القرارات دون الرجوع إلى هياكل الإشراف وتحميلها مسؤولية ذلك عند الاقتضاء.

•تولّي مجلس الإدارة مراقبة القيادة الاستراتيجية في إطار الأهداف المحدّدة من طرف الحكومة كما يجب أن تتوفّر له سلطة تعيين المدير العام وإعفائه من مهامّه ...

• تعيين متصرفين مستقلين في مجالس الإدارة ومجالس المؤسسة، على غرار ما هو معمول به بالنسبة إلى البنوك العمومية.

• ضرورة أن تنشئ مجالس إدارة المؤسسات العمومية لجانا مختصّة لمساعدتها في تأمين وظائفها ولإرساء قواعد الحوكمة الرشيدة داخل المؤسسة (لجان التدقيق ولجان التأجير ولجان الاستراتيجية ولجان المخاطر...)، مع أهمية مراعاة الكفاءة وتحديد معايير موضوعية عند التعيين على رأس هذه اللجان.

3. على مستوى الموارد البشرية والحوار الاجتماعي

•تطوير دور إدارة الموارد البشرية في المؤسسات العمومية كعنصر هام لتطوير المؤسسات العمومية سواء على الصعيد الاجتماعي أو العلمي أو على مستوى البحث والتطوير والابتكار.

•اعتماد استراتيجية للتكوين داخل المؤسسات والمنشآت العمومية مع وضع آليات للمراقبة والتقييم.

•إدماج المؤسسات العمومية في محيطها الاجتماعي والبيئي.

•دعم أطـر الحوار الاجتمـاعي بين ومع كـل الأطـراف المعنيـة بتطوير المؤسسات العمومية.
•إرساء ثقافة العمل كقيمة أخلاقية وكونية في المؤسسات مع ضرورة إرساء كفـاءات سلوكية متلائمة مع ثقافة المؤسسة.
•وضع قواعد واضحة لمحاربة الفساد داخل المؤسسات والمنشآت العمومية.
•إحداث نظام قـانوني يسمح باستقطاب الكفاءات المشهود لها بالكفاءة بمـا في ذلك كفاءات القطاع الخاص.

4. على مستوى استراتيجية التمويل

• تقديم مخطط عمل استراتيجي من قبل المؤسسات العمومية التي تنشط في المجال التنافسي خصوصا يضمن تطوير المؤسسة وديمومة نشاطها.

• إعداد خطة للتمويل ترمي إلى تحقيق التوازنات في أجل أقصاه 2018 من قبل المؤسسات العمومية.

• ربـط الدعم المالي بمفهوم المرفق العام وإرسـاء مبدإ التعويـل على الذات بحيث يصبح الالتجاء إلى الدعم استثنائيا.

• التمويـل من أعلى الميزانيـة بدلا من التعويضات أو الدعم المالي.

• إحـداث إطـار للتمـويل تحـت مسمـى صنـدوق وطني للاسـترجـاع (Fonds de retournement) يشجّع على إرساء شـراكة بين القـطاع العام والقطاع الخاصّ في مجال التمويل، ويسـاعد على رسملة المؤسسات العمومية ، ممّا يؤدي إلى التخفيف من المساهمة المباشرة للدولة في تمويل عمليات هيكلة المؤسسات العمومية الناشطة في القطاع التنافسي ومرافقة تلك المؤسسات لتطوير مفهوم جديد للحوكمة يأخذ بعين الاعتبار ديمومة تحسين الأداء. ويمكن تقدير مبلغ الصندوق بنحو 1000 مليون دينار.

• تبقـى الهـيكـلة الـماليـة مـن مشمولات الدولة على أن تقتـرح المؤسسة العمومية برنامجا للتطوير الاستراتيجي قابلا للتنفيذ.

• الإبقاء على إمكانية الدعـم المباشر مع ضرورة ضبط عقـد برنـامج يتم المصادقة عليه مسبقا ويتضمن أهدافا محدّدة مع بيان تأثيراتها الاجتماعية والبيئيّة.

• النظر في إمكانية بعث صنـدوق إعادة رسملة المنشآت العمومية، النـاشطة في قطاعات غير تنافسية والتي تـؤمّـن مـرافق عمومية حيوية يموّل عن طريق التصرف في مساهمات الدولة أو الميزانية.←

أنـور بـن قدّور، الأمين العام المساعد لاتحاد الشغل

خوصصة المؤسّسات والمنشآت العمومية مرفوضة قطعيّا

«في ظلّ تخلّي الدولة عن دورها كفاعل اقتصادي وخلق مواطن الشغل وتلخيص دورها الاستثماري في التجهيز، لا يمكن أن تتخلّى كذلك عن دورها الاجتماعي عبر المؤسسات والمنشآت العمومية.

ولكن لا أحد ينكر وجود إشكال في تلك المؤسسات وما يزيد تعميق إشكالياتها هو عدم الإسراع في عملية إصلاحها وتطويرها لكن خوصصتها مرفوضة قطعيّا، خاصّة أنّ فرص الاستثمار أمام الخواص عديدة ونحن ندعم الاستثمار في القطاع الخاصّ ولكن ليس على حساب الدور المجتمعي للدولة وللمؤسسات العمومية.

على كلّ، نحن نطالب أساسا بمراجعة النصوص التشريعية المنظّمة للقطاع العام ككلّ وإرفاق قوانين الماليّة بتقارير مفصّلة حول وضعياتها الماليّة. ومن المهمّ أيضا وضع استراتيجية تشاركية حول مستقبل المؤسسات والمنشآت العمومية ودورها في النهوض بالاقتصاد الوطني ، كما نقترح دراسة إمكانية الاعتماد على بعض الخبرات الخارجية عبر عقود تعاون كبديل عن الخوصصة وخاصّة إحداث لجنة وطنية بين اتحاد الشغل والوزارات لدراسة وضعية كلّ منشأة ومؤسسة عمومية واقتراح سبل لإصلاحها بعد إنجاز تدقيق محاسباتي مستقلّ لكلّ مؤسسة ومع تكريس مبدإ الحفاظ على الصبغة العمومية لهذه المؤسسات باعتبارها مكسبا وطنيّا».

(من حديث لجريدة المغرب بتاريخ 3 أوت 2017).

tunisair.com
GET CLOSER
الخطوط التونسية TUNISAIR

• إنشاء صندوق وطني/ صناديق جهوية للتأثير الإيجابي (Fonds National d'Impact) لتمويل برامج ذات أبعاد اجتماعية وتضامنية بالاشتراك مع المؤسسات العمومية (في إطار المسؤولية الاجتماعية) بهدف إدماج المؤسسة في محيطها.
• تموّل الصناديق من مداخيل التفويت أو الخوصصة أو الميزانية.

وأوضح المستشار لدى رئيس الحكومة أنّ المبدأ الأساسي الذي يجب اعتماده في مجال الهيكلة الماليّة هو أنّ كلّ المنشآت العمومية لا تتشابه، إذ لكلّ منشأة خصوصياتها، ممّا يستوجب معالجة وضعيات هذه المنشآت حالة بحالة.

وأضاف أنّ رئيس الحكومة، يوسف الشاهد طلب القيام بتصنيف المؤسسات والمنشآت العمومية حسب القطاعات : تنافسي / غير تنافسي واستراتيجي / غير استراتيجي .وقال إن كان التمييز بين القطاع التنافسي والقطاع غير التنافسي أمرا سهلا، فإنّه يصعب ضبط مقاييس موضوعية لتحديد الطابع الاستراتيجي لمنشأة ما من عدمه، وهو الإشكال الذي سيكون مطروحا في المرحلة المقبلة.

مقاربة تشاركية

وأكّد السيد توفيق الراجحي أنّ الحكومة اعتمدت مقاربة تشاركية لإعداد استراتيجية تطوير حوكمة المؤسسات والمنشآت العمومية وأنّ وثيقة الاستراتيجية ومخطّط الأعمال الخاصّ بآليات تنفيذها عُرضا على الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية، وعلى خمسة أحزاب موقّعة على اتّفاق قرطاج. وذكر أنّ قرابة مائة شخص من بينهم ممثّلون عن هذه الأحزاب وعن 6 وزارات و9 مؤسسات ومنشآت عمومية شاركوا في 12 ورشة أقيمت في شهر جويلية الماضي لمناقشة مخطّط الأعمال الذي أشرف على إعداده مكتب استشاري دولي بتمويل من الوكالة الفرنسية للتنمية. وتمثّل دور هذا المكتب في صياغة مخطّط مفصّل يتضمّن أرقاما وأولويات لتنفيذ محاور الاستراتيجية الأربعة، مرفوقا بجدول زمني دقيق، مع تحديد واضح لمسؤولية كلّ طرف.

وبعد مصادقة الحكومة على مخطّط الأعمال هذا، فإنّه سيكون بالنسبة إليها بمثابة الوثيقة المرجعية التي ستعتمد في تطوير حوكمة المؤسسات والمنشآت العمومية.

خاتمة

العديد من المؤسسات والمنشآت العمومية تغرق اليوم تحت وطأة تدهور متواصل لحالتها التنظيمية والماليّة، ممّا يتطلّب تدخّلا سريعا من الحكومة لمعالجة هذه الأوضاع المستفحلة، حسبما تستوجبه كلّ حالة من حلّ. فهل تنجح الحكومة في تنفيذ الاستراتيجية الطموحة التي وضعتها في سبيل إنقاذ هذه المؤسسات والمنشآت وضمان ديمومتها؟ ولا شكّ أنّ السؤال الآخر الذي يطرح نفسه هو: هل بمقدور الحكومة إقناع الاتحاد العام التونسي للشغل بجدوى هذه الاستراتيجية؟ أليس من أهمّ شروط نجاح أيّ إصلاح انخراط جميع الأطراف الاجتماعية فيه؟

ع.ه

شؤون وطنية

في حديـــث حصـــري لليـــدرز

مستقبل تونـس والتحديّات الكبـــرى في نظر البـاجي قايد السبسي

نشرت مجلّة ليدرز الناطقة بالفرنسية في عددها الأخير لشهر أوت حديثا خصّ به الرئيس الباجي قايد السبسي، مديرها التوفيق الحبيّب تناول فيه بالخصوص أهمّ القضايا المطروحة على الساحة السياسية ونظرته إلى مستقبل تونس والتحديات الكبرى التي تواجهها. في هذا الحديث الذي تزامن مع انتصاف العهدة الرئاسيّة قال رئيس الجمهورية إنّ رئيس الحكومة يوسف الشاهد «في حاجة إلى مساندة الجميع» بدءا منه شخصيا وإنّ دعمه لمقاومة الفساد من باب الواجب، مؤكدا ضرورة الذهاب في مكافحة هذه الظاهرة «بكلّ الوسائل المتاحة، لكن في إطار القانون واحترام الحقوق، بما فيها حقوق من أخطأ وأذنب».

ذكر الرئيس الباجي قايد السّبسي أنّ الهدف من مشروع قانون المصالحة الإدارية الذي بادر بعرضه على مجلس نوّاب الشعب إحلال «مناخ من الثقة والاطمئنان أصبحت تونس في أشدّ الحاجة إليه».

وعمّا إذا كان ينوي الترشّح للانتخابات الرئاسيّة سنة 2019 ردّ قائلا : «من سيكون في الموعد؟ ليس من الهيّن التكهّن بذلك في الوقت الحاضر. وعلى من هم في عجلة من أمرهم ويستحثّون الخطى من الآن أن يكفّوا عن تلويث الأجواء السياسية».

وبشأن حلّ أزمة «نداء تونس» أفاد رئيس الجمهورية أنّ «هناك أكثر من حلّ! لكنّ الأمور بتواقيتها، بلا تأخير وبلا تقديم».

أمّا عن علاقته بحركة النهضة فقد قال: «ما بقي هذا الحزب منخرطا في الخطّ العام للبلاد، فإنّنا سنُبقي على تعاملنا معه... وما دام هذا الحزب يعترف بالدولة ويتطوّر في الاتجاه الصحيح، فإنّي آخذ ذلك في الاعتبار. من واجبي أن أضمن مشاركة كلّ الحساسيات السياسية، حتّى تلك التي لا تشاطرنا مواقفنا، وذلك ما ظلّت تعمل وفق القانون وتحترم التشريع».

مستقبل مشرق

كيف يتراءى له مستقبل تونس؟ على هذا السؤال ردّ الرئيس الباجي قايد السبسي قائلا: «أراه مشرقا! لقد قبلت بأن أترشح لرئاسة الجمهورية لأنّي كنت أخشى أن تحدق بالوطن وبمستقبله مخاطر حقيقية. كنت أشعر بواجب درء هذه المخاطر، وأعلم أنّ السبيل إلى ذلك هو وضعُ تونس في مأمن من شَرٍّ كان يتربص بها وأَخْذُها إلى مستقبل أفضل. إني لعلى إيمان بذلك، لأنّي أدرك تماما بأنّ خلاص تونس ممكن. يكفي أن نواصل بذل الجهد وأن نبقى على تعلّق بقيمنا الأساسية. علينا قبل كل شيء

التحديات الأربعة كما يراها الباجي قايد السبسي

هذه التحديات غير مرتبة تسلسليا. حينما نسأل الرئيس الباجي قايد السبسي أن يذكر أهمّ التحديات ذات الأولوية التي على تونس مواجهتها بأوفر قدر من السرعة، نراه يحدّد أربعة تحديات يمكن أن تشكل زوايا لمربع. وكل واحدة من المسائل التي يطرحها مثار انشغال واستعجال بنفس المقدار:

1. تجذير الديمقراطية في الواقع التونسي اليومي. الديمقراطية لو تعلمون لا تأتي بمجرّد قرار، إنّما تمارس اعتمادا على نضج الشعب ووحدته والتزامه، وهو ما نحن بصدده بكل تصميم رغم حملات التشويه التي تستهدفنا. حرام أن تسعى بعض الحساسيات السياسية إلى تفضيل مرجعياتها الخاصّة على حساب مصلحة الوطن العليا. فالديمقراطية تتطلّب تقديم التضحيات وتقتضي التدرّج على سلّم الرقي درجة بعد أخرى، رغم صعوبات الطريق. وسوف نحقق ما نصبو إليه على هذا الصعيد. وأنا أرى بارتياح أنّ عموم التونسيين أكثر تصميما من النخب على إدراك هذه الغاية.

2. مقاومة الإرهاب قد تستغرق وقتا. تبقى تونس في مرمى الإرهاب، وتبقى التهديدات الأمنية قائمة وعلى قدر من الخطورة. كانت تعوزنا في الماضي ثقافة مقاومة الإرهاب، ولم تكن لنا دراية بفنون مكافحة هذه الظاهرة. أما اليوم فإن قواتنا المسلحة وقوات الأمن أصبحت تحرز تقدما مطردا ذا بال بعد أن غدت أحسن تجهيزا وعلى أهبة أفضل.

3. الوضع الاقتصادي مدعاة إلى الحيرة. إصلاح الوضع الاقتصادي يتطلّب قبل كل شيء العودة إلى العمل وبذل الجهد، كما يقتضي من التونسيين جميعا ومن كلّ تونسي المساهمة في خلق الثروة. هنالك بالفعل بعض مؤشرات ودلائل توحي ببداية انتعاشة على مستوى الإنتاج، لكنها تبقى دون المستوى الذي يجنّبنا اللجوء إلى التداين.

4. مسألة التعليم والنظام التربوي بصفة أعَمّ ينبغي أن تدرج صلب أولوياتنا المطلقة، وهو ما ينساه الكثيرون. حَرِيٌّ بنا أن نحرص على انتهاج نظام تعليمي عصري وإيجابي وفي تفاعل مع ما يجِدُّ في العالم من حولنا من تطوّرات وأحداث وبخاصة في البلدان المتقدمة. على تونس، البلاد التي راهنت باستمرار على التربية، والتي تتوفّر على نخبة متنوّرة ومتقدّمة جدًا، أن تواصل تكوين أجيالٍ جديدةٍ من التونسيين من ذوي العقول النيرة، الآخذين بأسباب المعرفة، القادرين على الانخراط بنجاح وتفوق في القرن الحادي والعشرين.

أن نحافظ على تموقعنا الجيوستراتيجي بشكل كامل باعتبارنا بلدا إفريقيا، متوسطيا، عربيا، مسلما، متجذّرا في المغرب الكبير، متشبّعا بقيم إنسانية نبيلة. التحدّي الأكبر الذي يواجهنا اليوم هو تجذير تونس بقوة في ما لا بعده رجعة أو انتكاسة، أكان ذلك على صعيد الديمقراطية والسياسة أو على مستوى الإقلاع الاقتصادي المنشود.

صحيح أنّ بلادنا اضطرت في السنوات الأخيرة إلى أن تخصص نصيبا لا يستهان به من مواردها المتواضعة لتمويل ميزانية القوات المسلحة وقوات الأمن. كنّا بين نارين، نار التنمية ونار الدفاع عن سيادتنا.. ولم يكن التوفيق بين الأمرين بالشيء الهين. ما يمكن تأكيده هو أننا بقينا منذ الاستقلال نستثمر في «المادة الشحمة» كما كان يسمّيها بورقيبة. والمادة الشحمة هي أثمن رأسمالنا».

تدارك ما فات

وبخصوص الرسالة التي يودّ تبليغها للتونسيين، قال رئيس الجمهورية : «لقد أضعنا وقتا كثيرا في سعينا إلى أخذ تونس والتونسيين إلى القرن الحادي والعشرين. علينا جميعا أن نتدارك تماما هذا الوقت الذي فاتنا حتى لا نُفَوِّت على أنفسنا هذا الموعد الأخير المتاح لنا».

حديث أجراه التوفيق الحبيب.

شؤون وطنية

ولايـــة بـــاجـــة

كنز تونس المغمور

حنان الرياس

تعتبر ولاية باجة من أولى الولايات الفلاحية في البلاد التونسية، حيث تتّسم بخصوبة أراضيها وثراء محاصيلها، وتعدّد مواردها المائيّة، بالإضافة إلى تنوّع الصناعات فيها. وتمسح 3740 كلم2 وتعدّ حوالي 300 ألف ساكن. تشتمل الولاية على 9 معتمديات (باجة الشمالية وباجة الجنوبية وتستور ومجاز الباب وتبرسق وقبلاط ونفزة وعمدون وتيبار). وتتميّز بمناخ بارد ورطب في الشتاء وحارّ وجاف في الصيف مع نزول كميات كبيرة من الأمطار تتراوح ما بين 600 إلى 1200 مم سنويّا.

تتميّز ولايــة باجـة أيضا بانفتاحها على البحر الأبيض المتوسط من جهة نفزة وامتدادها على شريــط ســاحلي يبلغ طوله 26 كلم. وهي تتوسّط 5 ولايات (جندوبة وبنزرت وزغوان ومنوبة وسليانة).

وعلاوة على أراضيها الشاسعة والخصبة، تزخر باجة بالمناطق الأثرية والتاريخية مثل دقّة وعين تونقة وتستور..

وتطمح ولاية باجة إلى أن تكون قطبا إقليميا وتنمويّا نظرا إلى إمكانياتها الضخمة والمتنوّعة وموقعها الجغرافي بتوسّطها لإقليم الشمال الغربي من جهة، وقربها من العاصمة، مركز الحيوية الاقتصادية، من جهة أخرى، فضلا عن كونها همزة وصل مع السوق الجزائرية الحدودية.

مطمورة روما

تأتي تسمية باجة من «فاقا» «Vaga»، حيث أطلق عليها الرومان هذا الاسم الذي يعني «البقرة الحلوب» في إشارة إلى خصوبة أراضيها ولكنها قبل أن تصبح بلدية رومانية في عهد الإمبراطور «سبتيموس سافاروس» يدير شؤونها مجلس شيوخ بلدي، كانت قرية فلاحية مزدهرة في العهد القرطاجني ومركزا مهمّا عند النوميديين، حيث اختارها يوغرطة مقرّا لإقامته وكانت تُنظّم فيها سوق للتجارة يأتيها التجار من مختلف أنحاء البلاد.وكانت تشتهر في ذلك الوقت بزراعة الشعير والقمح ولا عجب أن سمّاها الرومان «مطمورة روما» لأنّها كانت تزوّدها بهذه المنتوجات.

شهدت باجة تقلّبات على مدى التاريخ، فتارة عرفت ازدهارا مثل ما شهدته في العهد الأغلبي حيث بنيت بها الجوامع والأسواق والأسوار وتواصل ذلك إلى بداية العهد الصنهاجي وتارة عرفت ركودا ودمارا، وتحديدا مع زحف الهلاليين. ولم يعد إليها رونقها إلا في العهد الحفصي ثم العثماني، حيث تمّ تجديد بناءاتها وخاصة قصبتها التي اشتهرت بها منذ العهد القرطاجنّي لتحصين أسوارها ودفاعاتها على مرّ العصور.

قرب باجة من العاصمة (100 كلم) جعلها ذات تأثير على السياسة ونظام الحكم أيّا كان، فقد أنجبت وجوها مهمّة من القضاة والعلماء مثل الأديب «العياضي الباجي» والمؤرخ «محمد الصغير بن يوسف» وعالم المنطق « محمد الشافعي بن القاضي».

تتميّز باجة كذلك بمدينتها العتيقة المعروفة بجوامعها مثل جامع مراد باي الذي بناه مراد الثاني والمسجد الكبير، وكذلك بتعدّد أضرحة الأولياء الصالحين مثل سيدي بوتفاحة وسيدي بابا علي صمادي وسيدي الطيب وسيدي صلاح زلاوي، بالإضافة إلى الأسواق وبعض المعالم مثل قصر باردو الذي بناه العثمانيون سنة 1615. ويحيط بالمدينة العديد من الأبواب، بعضها مازال موجودا رغم الدمار الذي لحق أسوار المدينة العتيقة في عهد الاستعمار والبعض الآخر لم يبق منه غير الاسم.

بنية أساسية جيّدة

لولاية باجة بنية أساسية جيّدة بما أنّها من أولى الولايات التي تمّ إحداثها بعد الاستقلال وتحديدا في جوان 1956. تربطها بالولايات المجاورة شبكة من الطرقات الوطنية، إلى جانب طريق سيارة تصلها بالعاصمة. كما أنها متّصلة بشبكة النقل الحديدي، وإن كانت بحاجة إلى التوسعة وإضافة خطوط جديدة.

ويبلغ معــدّل ربــط الأســر بشبكة التنوير99.8 %، أمّا بالنسبة إلى معدّل الربط بشبكة الماء الصالح للشراب فيبلغ 72.1 % ويصل المعدل إلى 99 % فيما يخص الربط بشبكة التطهير.

تحظى الولاية أيضا بمستوى تغطية جيّد بشبكة الاتصالات، حيث تبلغ نسبة الكثافة الهاتفية بالنسبة إلى الهــاتف الجــوّال 53.60 % (إحصائيّات 2015).

وفي مجال التغطية الصحية، تضمّ باجة 9 مستشفيات و88 مركز صحة أساسية. أمّا في الميدان التربوي فإنّها تحتوي على مؤسسات تعليم عال في عدة اختصاصات تتلاءم مع خصوصية الجهة (هندسة ريفية وبيوتكنولوجيا نباتية وحيوانية وصناعة الخشب والتأثيث...) ومراكز تكوين مهني للنهوض بالكفاءات الموجودة.

وتعدّ ولاية باجة كذلك 10 مناطق صناعية ومركز عمل عن بعد ومحضنتين للمؤسسات. ومن المنتظر أن يتمّ تجهيز 7 معتمديات بالغاز الطبيعي لاستعماله لأغراض صناعية ومنزلية في بداية 2019، حيث ستكون معتمدية مجاز الباب أولى المعتمديات المستفيدة من هذا البرنامج الذي تشرف عليه الشركة التونسية للكهرباء والغاز. وسيمكّن هذا المشروع من تخفيف تكلفة الإنتاج بالنسبة إلى المصانع المنتصبة في ولاية باجة وسيحسّن من مستوى عيش السكان، إضافة إلى أنّه سيمثّل عامل جذب للمستثمرين.

ولاية فلاحية بالأساس

تُعدّ باجة ولاية فلاحية بالأساس، إذ تبلغ مساحة الأراضي الزراعية فيها 198.300 هكتار (إحصائيات سنة 2017). وتتوزّع الزراعات بين الحبوب (139000هكتار) والبقول (13300 هكتار) والأعلاف (42600 هكتار) والزراعات الصناعية (3400 هكتار). وفي سنة 2015 بلغت قيمة الإنتاج الفلاحي السنوي 259.14 مليون دينار. وتُعرف الولاية أيضا بإنتاجها الحيواني، حيث تنتج سنويا 10730 طنّا من اللحوم الحمراء و19400 طنّ من اللحوم البيضاء و119500 طنّ من الحليب.

هذا الثراء في المنتوجات جعلها تساهم بشكل كبير في الإنتــاج الوطني، حيــث تساهم بـ 30 % من الإنتاج الوطني للحبوب وبـ15 % من الإنتاج الوطني للحليب وبـ 12 % من الإنتاج الوطني للحوم الحمراء وبـ65 % من الإنتاج الوطني في مجال منتوجات الصيد في المياه العذبة.

بالإضافة إلى الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، تتميّز الولاية بغطاء غابي يمتدّ على مساحة 110.000 هكتار، كذلك بمناطق ومحميات ذات خصوصية طبيعية ممتازة.←

وتعتبر الفلاحة القطاع الاستثماري الأول في الجهة، إذ بلغت الاستثمارات الفلاحية الخاصّة في الفترة ما بين 2011 و2015، 188.780 مليون دينار أي ما يعادل 34.5 بالمائة من الحجم الجملي للاستثمارات في القطاع الخاصّ. أما في النصف الأول من سنة 2017 فقد بلغت هذه الاستثمارات 26.234 مليون دينار.

وقد حظيت ولاية باجة هذه السنة بمحصول هامّ من القمح حيث بلغ 3.1 مليون قنطار يتمّ تجميعها في 39 مركزا لتخزين الحبوب.

موارد مائية متنوّعة

تتوفّرفي ولاية باجة موارد مائية هامّة، نظرا لتهاطل الأمطار بكميات مطّردة في الخريف وفي الشتاء، إذ تعدّ الموائد السطحية 24.32 مليون م3 والموائد العميقة 27.900 مليون م3.

وتوجد في الجهة آبار بأعداد وافرة منها السطحية (2561) والعميقة (321)، وكذلك البحيرات الجبلية وتعدّ 60 بحيرة تبلغ طاقة استيعابها 7878 مليون م3. كما تضمّ الولاية ثلاثة سدود كبرى وهي سدّ سيدي سالم وسدّ سيدي البراق وسدّ كسّاب وتبلغ طاقة استيعابها الجملية 1106.5 مليون م3.

الموارد الإنشائية

ولاية باجة غنية أيضا بالموارد الإنشائية مثل الكلس والرمل والرخام والطين والجبس ومن بين المواقع التي كانت موضع دراسة جيولوجية نذكر جبل سيدي أحمد في نفزة حيث وُجدت فيه حجارة رخامية وكلسية وموقعي جبل بوموس وجبل بومرة في مجاز الباب و يوجد فيهما الجبس، إلى جانب هنشير العواودة في تبرسق الذي يحتوي على الرمال.

المناطق الصناعية

رغم طابعها الفلاحي، فإنّ ولاية باجة تشهد اهتماما متزايدا بالقطاع الصناعي، حيث تضمّ 10 مناطق صناعية مهيّأة تمتدّ على مساحة 120 هكتارا: ثلاث منها في مركز الولاية والباقي يتوزّع بين مجاز الباب وقبلاط وتستور. وأهمّ الصناعات هي الصناعات الغذائية ومـــواد البنـــاء والخـــزف والبلور والصناعات الميكانيكية والصناعات الكهربائية والالكترونية والصناعات الكيميائية وصناعة النسيج والملابس وصناعة الخشب والأثاث وصناعة الجلد والأحذية. وتوجد 144 وحدة صناعية تشغّل كلّ واحدة منها كثر من 10 أشخاص في كامل الولاية، منها 42 مصدّرة كليّا أحدثت 13557 موطن شغل.

وبلغت قيمة الاستثمارات في النصف الأول من هذه السنة 17.5 مليون دينار مكّنت من

←إحداث 1920 موطن شغل. وهناك حاليا نوايا استثمار تقدر بـ 98 مليون دينار ستحدث 2273 موطن شغل. ومن المنتظر أن تدخل 9 وحدات صناعية جديدة طور النشاط خلال الأشهر المقبلة من السنة الجارية بقيمة جملية للاستثمار تبلغ 41.7 مليون دينار ومن المتوقع أن تخلق 1105 مواطن شغل.

كما سيتمّ بعث منطقة صناعية جديدة في تستور خلال السنة القادمة ومنطقة صناعية بتبرسق على مساحة 50 هكتارا، حسبما أكّده رئيس الحكومة يوسف الشاهد خلال زيارته لولاية باجة في 8 جوان الفارط وكان قد أعلن عن 50 قرار لفائدة الجهة.

وتــراهن السلــطات الجهــوية في بــاجة على تشجيــع الاستثمــار في القطــاع الصنــاعي، حيــث قــامت في سنــة 2016 بتحريك المشاريع المعطّلة منذ 2012 بما قيمتــه 70 مليــون دينار. ولا تُخفــي أنّ هناك إقبالا حقيقيا على المقاســم الصناعية حيث تتلقّى طلبات عديدة في هذا الشأن خاصة من قبل الباعثين الشبان. وقد بلغ عدد المشاريع الصغرى المموّلة من قبل البنك التونسي للتضامن في النصف الأول من 2017، 215 مشروعا بقيمة استثمار بلغت 3.358 مليون دينار محدثة 354 موطن شغل.

كما أصبحت باجة قطبا لصناعة الأدوية إذ تشتمل حاليا على خمسة مصانع في هذا المجال.

قطاع سياحي في حاجة إلى التطوير

رغم أنها ليست ساحلية، فإنّ ولاية باجة تشتمل على بنية تحتية سياحية، وإن كانت تحتاج إلى المزيد من العناية والتطوير. ويوجد حاليا في كامل الولاية ستة فنادق : ثلاثة في باجة المدينة وواحد في تبرسق والثاني في نفزة والثالث في تستور، بطاقة استيعاب جملية

لا تتجاوز 300 شخص. وقد تمّ سنة 2015 تسجيل 4.319.965 وافدا على هذه النزل قضوا 16.177.575 ليلة. ومن الواضح أنّ القطاع السياحي في حاجة إلى دعم قوي، خاصّة وأنّ الولاية تمتلك ميزات عديدة، فعلاوة على انفتاحها على البحر الأبيض المتوسط بشريط ساحلي يبلغ 26 كلم، تحتوي على طبيعة خلابة وعلى غابات شاسعة، بالإضافة إلى مواقع أثرية مهمّة مثل موقع «دقّة» الأثري الذي تم تصنيفه ضمن التراث العالمي للإنسانية وموقع «عين تونقة» والمدينة العتيقة في باجة وتستور المعروفة بتراثها الأندلسي. يجدر استغلال هذه المزايا والاستفادة منها في تأسيس سياحة بديلة لا تعتمد بالأساس على الشواطئ والسواحل وإنما على تطوير السياحة البيئية والثقافية، وعلى بنية تحتية فندقية تتلاءم مع الطابع الغابي والريفي للعديد من المناطق في الولاية.

نقائص وتطلّعات

رغم الإمكانيات الضخمة التي تتوفّر في ولاية باجة ومساهمتها الهامّة في الإنتاج الوطني من المواد الغذائية، فإنها تحتل مرتبة متدنّية من حيث مؤشر التنمية، حيث احتلت المرتبة 18 سنة 2015. وهو ما لا يعكــس حقيقة المــوارد والطاقات التي تــزخر بها وكذلك تطلّعات أهلها إلى أن تصبح ولايتهم قطبا تنمويا مشعّا على المستويين الإقليمي والوطني.

فلا تزال نسبة البطالة مرتفعة إذ تصل إلى 18,5 % وذلك لا يعود إلى قلّة مواطن الشغل أو فرص الاستثمار وإنما مردّه بالأساس، حسبما توضّحه السلط الجهوية، غياب يد عاملة كفأة. فهناك عدم توافق بين عروض الشغل وبين الكفاءات الموجودة. لذلك يتعيّن تأهيل الموارد البشرية عبر إحداث شعب جديدة ومتنوعة الاختصاصات في مراكز التكوين المهنى تتماشى ومتطلبات سوق الشغل. كما يجب أن تنسجم البنية التحتية الجامعية الموجودة مع خصوصية الجهة واحتياجاتها←

←من اليد العاملة. وتعاني جهة باجة كذلك من عدم تسوية الرصيد العقاري للمدن ممّا يؤثر في التّوسع العمراني وفي إحداث مناطق صناعية جديدة. فالحاجة ماسة إذن إلى تحيين الخارطة الفلاحية للولاية وإلى التسريع أكثر في إجراءات تغيير صبغة بعض الأراضي الفلاحية ليتاح استغلالها لأغراض صناعية أو سكنية. ومن المهمّ أيضا بالنسبة إلى ولاية تطمح إلى أن تصبح قطبا تنمويا متكاملا تحسين مناخ الاستثمار فيها وذلك بإعادة هيكلة القطاع الفلاحي ومزيد تعصيره وتنمية الموارد الإنشائية وتنويع القاعدة الاقتصادية ومزيد الإحاطة بالمستثمرين وتسهيل استقرارهم في الجهة بتوفير الخدمات اللازمة لهم.

وفي إطار النهوض بالقطاع الصناعي، يجدر العمل على توسيع رقعة المناطق الصناعية الموجودة حاليا وتعزيز بنيتها التحتية وخلق مقاسم صناعية جديدة، بالإضافة إلى إحداث مؤسسات صناعية لتحويل المنتوجات الفلاحية التي تتميّز بها الجهة. وفي المجال السياحي، من الضروري استغلال المناطق الطبيعة والتراثية التي تزخر بها الجهة. ففي شاطئ الزوارع على سبيل المثال، الذي يعتبر من أجمل الشواطئ في تونس وأنظفها، يتعيّن تشجيع الخواص على تهيئته وبعث مركب سياحي وبيئي فيه. كما يجدر تشجيع المستثمرين على إحداث فنادق تستغلّ الغابات الشاسعة والتضاريس المتنوّعة التي تحفل بها الولاية، إلى جانب منابع المياه المعدنية الساخنة من أجل إرساء سياحة استشفائية.ولمّا كانت ولاية باجة تعاني من قلّة التواصل مع الولايات المجاورة مثل بنزرت، فإنّه من الضروري تحسين ربط الولاية بمحيطها المباشر ومزيد تطوير منظومة الطرقات في إقليم الشمال الغربي. ومن جانب آخر، هناك حاجة إلى مزيد تحسين شبكة السكك الحديدية التي تربط الولاية ببقية المدن التونسية وكذلك بالجزائر فوجودها على الطريق بين العاصمة والحدود الجزائرية يمنحها امتيازا كبيرا للاستثمار بأن تكون منطقة لخزن السلع وإعادة توزيعها. لذلك ينبغي إحداث خطوط حديدية جديدة وتهيئة المحطات الحالية، بالإضافة إلى بعث قواعد للنقل متعدّد الوسائط تجمع بين النقل الحديدي والنقل الطرقي. ومن تطلّعات الأهالي تطوير قطاع الخدمات بشكل عام في جهتهم، من اتصالات وتجهيز وخدمات فندقية ومركّبات سياحية إلى جانب توفير وسائل ترفيه.

وعلى صعيد آخر تشكو الولاية من عدم التوازن التنموي بين المعتمديات ومن غياب الدراسات والبرامج المنهجية التي بإمكانها إبراز الميزات التفاضلية بالجهة لخلق فرص استثمار جديدة تؤهل باجة للتموقع في السوق الوطنية والعالمية. كما تشكو الجهة من غياب رؤية استراتيجية فلاحية، إذ توجد حاليّا أراض فلاحية شاسعة مهدّدة بالانجراف والتصحّر وزحف الرمال، بالإضافة إلى ضعف إمكانيات صغار الفلاحين ومديونيتهم، علاوة على انعدام منظومة تساعد على الاستثمار. وبشكل عام يمكن القول إنّ منوال التنمية الحالي في ولاية باجة منوال غير مستدام ويتبيّن ذلك من خلال تفاقم المشاكل البيئية واستنزاف الثروات الغابية والتربة وعدم التحكم في منظومات الريّ وبالتالي في الموارد المائية، إلى جانب غياب خطّة واضحة لتحقيق الأمن الغذائي وتأمين الأحزمة الخضرية والألبان وتوفير إنتاجها. فهل من عمل على تغيير هذا المنوال؟

ح.ز

أطبـــاق وأكـــلات مـــن بـــاجـــة

بما أنّ باجة ولاية فلاحية، فإنّها تشتهر بالعديد من الأكلات المستمدّة من المنتوجات التي تزخر بها وخاصّة القمح والشعير. ومن بين هذه الأكلات نذكر «البرزقان» وهو نوع من الكسكسي الأبيض و«الحلو» قليلا، يضاف إليه الحليب ويقع تزيينه بقطع من لحم الضأن والفواكه الجافة والتمور. ومن الأكلات الأخرى المعروفة «المحمّصة بالقديد أو بالتمر» و«الحلام بالبقول الجافة».

وتشتهر باجة أيضا بأكلة «الفتات» وتتكوّن من نوع من العجين الرقيق يقع تحضيره ثم يوضع فوقه لحم الضأن الذي يطهى بالإكليل. باجة الغنية بالمنتوجات اللبنية معروفة أيضا بإنتاج الجبن الطازج و«الريقوتة».

وتبقى ميزة باجة الكبرى صنع «المخارق والزلابيا» التي يقبل التونسيون من عديد مناطق البلاد على اقتنائها وخاصّة في شهر رمضان المعظّم. ولاعجب أن تتميّز الولاية بهذا المنتوج وهـي التي تحتضن معمل السكّر.

www.atb.tn
ATB TUNISIE

Epargne الخـــيـــر

Le meilleur des cadeaux

L'ATB félicite les élèves et les étudiants qui ont réussi dans les divers examens et leur souhaite encore plus de succès.

سبّق الخير...
تلقى الخير بزايد.

ATB
البنك العربي لتونس

Des professionnels pour vous.

FCA!

تستور حافظة التراث الأندلسي

تستور مدينة أندلسية تقع على بعد 76 كلم من تونس العاصمة أسّسها الموريسكيون الذين طردهم من إسبانيا الملك فليب الثالث سنة 1609 واستقبلهم العثمانيون في تونس لما يمثّلونه من عنصر ديمغرافي متحضّر أثّر بشكل كبير في البيئة وفي طريقة عيش السكان الأصليين في تونس وفي شمال إفريقيا بشكل عام، بفضل ما جلبوه من حرف ومعرفة بأساليب الزراعة ودراية في فنون الهندسة والفنون الحربية. تستور التي تمّ تأسيسها على موقع روماني يدعى «تشيلا» عرفت ولادة حقيقية بقدوم الموريسكيين للاستقرار فيها، حيث بنوها على طراز البلدات الإسبانية بنظام هندسي متناسق بين الأنهج وبيوت يغطيها القرميد وساحات كانت تقام فيها إلى حدّ القرن الثامن عشر «مصارعة الثيران».

وأهمّ ما يميّز تستور اليوم هو جامعها الكبير ذي الساعة التي تدور عقاربها بالعكس، والذي بناه الموريسكيون في 1630. هذا الجامع يعتبر تحفة فنية ومعمارية بأتمّ معنى الكلمة، حيث بنيت منارته على شكل أبراج الكنائس في إشبيلية وتمّت زركشتها بنجمات داوود وذلك في إشارة إلى اليهود الذين طُردوا مع الموريسكيين من إسبانيا وجاؤوا ليستقروا في تستور. ولليوم يحمل الحي الذي أقاموا فيه اسم «حارة اليهود»، كما يعتزّ أهل تستور بمنزل المغنّية اليهودية حبيبة مسيكة (1903 - 1930) الذي بناه لها في سنوات العشرين حبيبها لياهو ميموني قبل أن يقرر حرقها وحرق نفسه بدافع الغيرة. تحول المنزل اليوم الى «دار الثقافة إبراهيم الرياحي» وفيه تُنظّم التظاهرات الثقافية. ما يميّز تستور أيضا كثرة أضرحة الأولياء الصالحين مثل مقام سيدي نصر القرواشي ذي القبتين الخضراء والبيضاء في مدخل المدينة وهو مقام شُيّد في القرن 18 ويعتبر معلما أثريًا مهمًا يزوره السياح، كما يُستعمل ككتّاب لتعليم الأطفال القرآن.

تستور القريبة من وادي مجردة يحيط بها حزام أخضر من البساتين والأراضي الزراعية، حيث يُزرع القمح وأشجار المشمش والرمّان و«العوينة» والخوخ والزيتون. لا تزال بعض العائلات في تستور تحافظ إلى اليوم على أسمائها الأندلسية مثل «زبيس» و«جهين» و«ماركو» و«مركيكو». وللتستورين اعتزاز كبير بانتمائهم وبحضارتهم وينعكس ذلك في محافظتهم على عاداتهم وتقاليدهم وعلى الأطباق التي اعتادوا طبخها من «بناضج» و«كيسالس» و«مرقة حلوة» الخ...كما حافظ التستوريون على الموروث الموسيقي الأندلسي وهو موسيقى المالوف حيث يخصص لها مهرجان دولي منذ 1966 ويدعى مهرجان تستور الدولي للمالوف والموسيقى العربية التقليدية الذي انتظمت دورته الحادية والخمسون هذه السنة من 16 إلى 30 جويلية. ويعطي هذا المهرجان العريق الفرصة للفرق الموسيقية التي تعزف المالوف والتراث الموسيقي الأندلسي سواء داخل البلاد أو خارجها لتقديم عروضها مع تنظيم مسابقة سنوية خلال المهرجان للفرق من كامل الجمهورية. أنجبت تستور العديد من الأعلام مثل الفقيه إبراهيم الرياحي (1766-1850) والفنّانة المتميّزة حبيبة مسيكة والفكاهي صالح الخميسي (1912 - 1958) والمؤرخ سليمان مصطفى زبيس (1913 - 2003).

الموقع الأثري بدقة

تُعتبر دقّة من أهمّ المواقع الأثرية في تونس حيث تم إدراجها ضمن لائحة التراث العالمي منذ سنة 1997.

تعود تسمية دقّة إلى كلمة «Thugga» وهي تسمية أمازيغية وتعني الجبل الصخري. تقع دقّة في معتمدية تبرسق من ولاية باجة تبتعد عن العاصمة 108 كلم. وتعود نشأتها إلى 500 سنة قبل الميلاد وتحديدا إلى العهد النوميدي حيث كانت مركزا إداريا قبل أن تتحوّل إلى مدينة قرطاجنيّة ثمّ رومانية لتصبح ثاني أهمّ مدينة رومانية بعد قرطاج. هذا الثراء الحضاري يدُلّ عليه تنوّع الآثار الموجودة فيها والتي تشهد على الحقبات التاريخية التي تعاقبت عليها، حيث يوجد ضريح نوميدي «لآتيبان بن أبتيمتاح» وهو أحد أمراء نوميديا و يبلغ طوله 21 مترا، ويوجد كذلك المسرح الروماني الذي كانت تقام فيه الطقوس الدينية والمسرحيات ويتّسع لأكثر من ثلاثة آلاف متفرج، ومعبد الكابيتول الذي شُيّد في النصف الثاني من القرن الثاني ميلادي وكان يُخصص لعبادة الثالوث الإلهي لمدينة روما وكذلك لإقامة الحاكم. كما يحتوي الموقع الاثري الذي يمتد على مساحة 70 هكتارا على معابد أخرى وحمّامات ومقابر رومانية وأقواس وساحات وأسوار ومنازل زُيّنت أرضياتها بلوحات من الفسيفساء.

ويحتوي الموقع الأثري بدقّة على عديد الأصنام واللوحات الفسيفسائية بالإضافة إلى 2000 نقيشة لوبية وبونية وإغريقية وبيزنطية، ممّا يجعله ذا أهمية تارخية وأثرية كبرى.

ويمثّل اليوم مقصدا للزوار، سواء من السياح الجانب أو التونسيين. ويُنظّم على ركح مسرحه الأثري مهرجان سنوي وهو مهرجان دقّة الدولي الذي يقام ما بين النصف الثاني لشهر جويلية والنصف الأول لشهر أوت. ويعود تاريخ تأسيسه إلى سنة 1920 خلال فترة الاستعمار حيث كانت تُقدّم فيه عروض للمسرح الكلاسيكي الفرنسي. وبعد الاستقلال أصبحت تقدّم فيه عروض فنية و مسرحيّة من تونس ومن مختلف البلدان العربية، إذ صعدت على ركحه قامات في الغناء والمسرح مثل دريد لحام وماجدة الرومي وعبد الله غيث وأمينة رزق وأقطاب من المسرح الفرنسي الكلاسيكي.

MAC
Epargnant

QNB

MAC Epargnant FCP.

Un fonds commun de placement simple, sûr et rationnel qui vous permet de profiter chaque année des revenus additionnels à votre participation (entre dividendes et intérêts).

Appelez le 36 00 40 00 ou visitez qnb.com.tn

BH INVEST
Intermédiaire en Bourse

SICAV BHO
SICAV BH OBLIGATAIRE

Immeuble Assurances SALIM, Centre Urbain Nord - 1003 Tunis
Tél.: +216 71 948 545
www.bhinvest.com.tn
bh invest

VOTRE PARTENAIRE CAPITAL

شاطئ الزوارع بحاجة إلى تهيئة

يقع شاطئ الزوارع على بعد 12 كلم من نفزة ويمثّل منفذ ولاية باجة الوحيد على البحر الأبيض المتوسط ويمتدّ على مسافة 26 كلم. وهو قريب من سدّ سيدي البراق.

يتميّز بنظافته وصفاء مياهه وجمال محيطه الزاخر بأشجار الصنوبر والغابات.وإن كان هذا الشاطئ يستقبل المصطافين كلّ صيف، فإنّه يبقى بحاجة إلى تهيئة.

وكان رئيس الحكومة يوسف الشاهد قد أعلن خلال زيارته الأخيرة إلى ولاية باجة، في جوان الماضي،عن جملة من القرارات لفائدة الجهة منها الإذن بالإسراع في اتخاذ الإجراءات اللازمة لتفعيل إنجاز المنطقة الإيكولوجية بشاطئ الزوارع وتأهيل مركز التخييم والاصطياف فيه.

SIMPAR
ISO9001

FAITES CONFIANCE AUX LEADERS TUNISIENS DE

L'IMMOBILIER

La société immobilière et de participations SIMPAR, fondée en 1973, est l'un des principaux acteurs de l'immobilier en Tunisie. Société mère du groupe immobilier de la Banque Nationale Agricole (BNA) et acteur historique de l'économie sociale et solidaire, notre société s'appuie sur un savoir-faire de plus de 45 ans.

Au rang des tout premiers promoteurs immobiliers en Tunisie, nous participons depuis les années 70 à l'édification, la construction et la modernisation du parc immobilier tunisien.

Actuellement la SIMPAR commercialise deux projets finis de type R+2 : une résidence de Très H.S. « LA COURONNE » sur les hauteurs d'Ennasr 2 et une autre résidence de H.S. « LES MIMOSAS » à la banlieue nord de Tunis à Marsa Erriadh ainsi qu'un projet en cours de finition de type R+6à el Mourouj 6.

Prochainement SIMPAR commercialisera une résidence de Très H.S. aux Jardins de Carthage de type R+3

«LES MIMOSAS»

Société immobilière et de participations SIMPAR
Adresse : 14 rue Masmouda, Mutuelleville, 1082 Tunis
Service Commercial : (+216) 71 840 244
Email : simpar@orange.tn
www.simpar.tn

وجـــوه مـــن باجة

أحمد الحمروني
أديب تستور والمعرّف بتاريخها

هو من مواليد 20 سبتمبر 1954 بتستور. متحصّل على الإجازة في اللغة والآداب العربية من دار المعلمين العليا بتونس في جوان 1977.عمل أستاذا أوّل بالتعليم الثانوي. بالتوازي مع ذلك، كان يكتب مقالات في الصحف والمجلات كما كان ينشر بحوثا في التاريخ، وخاصة تاريخ الموريسكيين الأندلسيين المهاجرين إلى تونس، حيث خصّهم بالعديد من الدراسات التي قام بنشرها منها «الهجرات الأندلسية إلى البلاد التونسية» و«دراسات وقراءات أندلسية مورسكية»، عرّف من خلالها بالحضور الأندلسي في تونس وتأثيره في العادات والتقاليد ونمط العيش للسكان الأصليين وما جلبه هؤلاء المهاجرون من إسبانيا من طرق متطوّرة في الزراعة والصناعة والهندسة وغيرها من المجالات.
اهتمّ أحمد الحمروني كثيرا بمدينته تستور حيث كتب عن تاريخها وأعلامها ومهرجانها الدولي للمالوف والموسيقى التقليدية وصدرت له ثلاثة كتب عنها : «تستور/تاريخ ورحلات» و«تستور/وثائق ودراسات» و«تستور/المالوف والمهرجان».

ناصر الحيدوسي
قصّة نجاح انطلقت من باجة

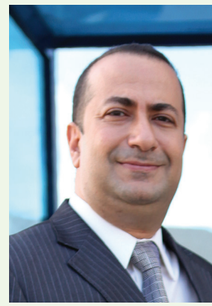

علاقة ناصر الحيدوسي بولاية باجة علاقة وطيدة، فوالده عيسى الحيدوسي، كاتب الدولة السابق والرئيس المدير العام لعدد من المؤسسات البنكية أصيل مدينة مجاز الباب. ومن باجة انطلقت قصّة نجاح ناصر، مؤسّس شركة «Hexabyte» لخدمات الانترنات عندما ظفر بترخيص لتقديم هذه الخدمات في مدينتي صفاقس وسوسة والشمال الغربي إثر مشاركته في طلب عروض في الغرض. اختار ناصر الحيدوسي مدينة باجة موقعا لمؤسّسته، متحدّيا الصعاب الإدارية ومشاكل البنية التحتيّة المتواضعة في سبيل تركيزها.
قضّى ناصر طفولته في غينيا بيساو والسنغال وموريتانيا حيث عمل والده خبيرا لدى منظمة التغذية والزراعة قبل أن يعود مع العائلة إلى أرض الوطن. حصل سنة 1991، وعمره 16 سنة، على شهادة الباكالوريا وزاول تعليمه العالي بالمدرسة الوطنية للبريد ليتخرّج منها مهندسا.
سافر إلى الولايات المتحدة للدراسة وتحصّل على ماجستير في الهندسة الإلكترونية من California Polytecnic University. حمله ذكاؤه الوقّاد على بعث موقع واب لتقديم الاستشارة للمترشحين للهجرة إلى الولايات المتحدة قبل أن تنتدبه مؤسسة Hughes Space Communication وكان من ضمن الفريق الذي تولّى إطلاق القمر الاصطناعي «ثريّا 2».
رغم نجاحه المهني في أمريكا فضّل العودة إلى تونس لخوض مغامرة بعث مؤسسة Hexabyte التي تعدّ اليوم من المؤسسات الرائدة التي تقدّم قيمة مضافة في مجال تكنولوجيات المعلومات والتي تمكّنت في غضون سنوات قليلة من تبوّؤ موقع متميّز في سوق تطغى عليها المنافسة ومن دخول البورصة في سنة 2011.

سهام الزواوي
من رائدات الرياضة النسائية

هي رئيسة الجمعية الرياضية النسائية بتستور. مارست موهبتها في الرياضة واليوم تطمح إلى تكوين جيل جديد من الرياضيات الصغيرات لمساعدتهن على تحقيق أحلامهن ليصبحن بطلات في الرياضات الفردية على المستوى الوطني ولمَ لا العالمي.
هي من مواليد تستور في 22 ماي 1968، كانت مولعة بالرياضة منذ صغرها و تحصّلت على الأستاذية في التربية البدنية اختصاص جمباز سنة 1994. إثر ذلك، اشتغلت بمركز النهوض بالجمباز بمجاز الباب ثم في الجمعية الرياضية «مجردة الرياضية»، حيث ساهمت في تدريب الفتيات من سنّ 7 إلى 8 سنوات في رياضة الجمباز وتمكّن الفريق الذي درّبته من الحصول على بطولة تونس في الجمباز سنة 97.
أسّست سنة 2011، مركز النهوض بالجمباز بتستور وتمكنت من خلاله من تدريب العديد من الفتيات في هـذه الريـاضة. ثـم في 2013 قرّرت تكوين الجمعيـة الريـاضية النسائية بتستور انطلاقا من وعيها بغياب وسائل الترفيه والأنشطة الموجهة إلى الفتيات والنساء بشكل عام في تستور ومن رغبتها في مساعدة المواهب الصاعدة للوصول الى المستوى الوطني. واستطاعت الجمعية الحصول على العديد من الكؤوس والبطولات على المستوى الوطني في الجمباز والكرة الطائرة.

نبيل الكوكي
من نجوم الجيل الذهبي للأولمبي الباجي

نبيل الكوكي، هو من مواليد باجة في 9 مارس 1970. يُعتبر بلا منازع من أبرز ما أنجب الأولمبي الباجي من لاعبين في كرة القدم. التحق في سنة 1990 بفريق الأكابر، فتألّق كلاعب وسط ميدان بفضل مؤهلاته الفنية والبدنية المتميّزة، إلى جانب نجوم كبار ساهموا في صنع ربيع هذا النادي العريق، نذكر منهم بالخصوص الهدّاف نبيل بالشّاوش والهادي المقراني وماهر الزديري وقيس الزواغي والحارس عادل النفري، وهم من الجيل الذهبي الذي أحرز معه الأولمبي الباجي على كأس تونس للمرّة الأولى في تاريخه في سنة 1993، ثماني سنوات بعد صعوده إلى مصاف النخبة. انضمّ نبيل الكوكي في سنة 1995 إلى النادي الأفريقي الذي لعب في صفوفه إلى غاية سنة 2000 قبل أن يقتحم عالم التدريب.بعد تدريب النجم الرادسي في موسم 2004 - 2005 عمل مدرّبا مساعدا بالنادي الإفريقي (2007 - 2010) وبالنادي الرياضي الصفاقسي (2011) قبل أن يصبح المدرّب الأوّل لهذا النادي. ومنذ ذلك التاريخ تولّى تدريب الملعب التونسي والنادي الإفريقي وأهلي برج بوعريريج الجزائري والنادي البنزرتي والقوافل الرياضيّة بقفصة والهلال السوداني.

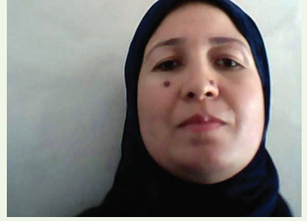

عدنان الشواشي
الروح الفنية الأصيلة

مطرب وملحّن من مواليد 29 ديسمبر 1951 بباجة. ولع بالفن والموسيقى منذ طفولته. تعلّم العزف على العود والكمنجة على يد معلّمه «منوّر مرزوق» كما درس قواعد الغناء الغربي على يد الفنان الكبير الهادي المقراني. اكتشفه الجمهور العريض في برنامج «نجوم الغد» عندما قام بأداء أغنية «مين عذّبك» لمحمد عبد الوهاب. ومن هناك كانت انطلاقته الموسيقية، حيث غنّى للعديد من الفنانين والملحنين الكبار أمثال رضا القلعي وصالح المهدي وسمير العقربي. كما لحّن بدوره لشعراء تونسيين معروفين مثل الجليدي العويني والحبيب المحنوش ورضا الخويني والطيّب الهمامي إلخ...

اشتهر باكتشافه لمواهب الأطفال وغنّى مع العديد منهم أمثال سنية مبارك وأنيس الصيادي. أحبّه الجمهور التونسي من مختلف الأجيال نظرا لجودة آدائه ورفعة مستوى أغانيه ومحافظته على روح الطرب الأصيل على مستوى ألحانه. كما أنّه معروف بهدوء طبعه ورصانته وتفانيه في عمله، ممّا أكسبه الكثير من الحبّ والاحترام.

منيرة حمدي
النجمة المتألّقة عربيّا

هي مطربة وممثّلة أصيلة مدينة باجة. بدأت مسيرتها الفنية في الغناء بفرقة مدينة تونس للموسيقى العربية ثم التحقت بالفرقة الوطنية للموسيقى. تمّ اكتشاف موهبتها في البرنامج التلفزي «نادي المواهب» ثم بدأت بإنتاج أعمالها الفنية ودخلت عالم الاحتراف. غنّت لكبار الملحّنين في تونس أمثال الشاذلي أنور وعبد الرحمان العيادي وفتحي زغندة والبشير السالمي وحمّادي بن عثمان، كما غنّت كذلك لقامات كبيرة في التلحين في مصر مثل صلاح الشرنوبي.

أصدرت عديد الألبومات في تونس ومصر والخليج وغنّت بمختلف اللهجات. دخلت عالم التمثيل من خلال المشاركة في مسلسلات وأفلام تونسية وعربية.

تحصّلت على جوائز عديدة في الغناء مثل جائزة الأداء في مهرجان الأغنية التونسية في 1992 والجائزة الأولى في نفس المهرجان سنة 2004. كما تحصّلت على الجائزة الأولى لمهرجان الأغنية العربية بالمغرب سنة 2005 وجائزة الأوسكار للفيديو كليب في مصر سنة 2004. ولاتزال منيرة حمدي تتألّق سواء على الساحة التونسية أو العربية ولا تجد حرجا في إعادة توزيع الأغاني القديمة بصوتها، سواء من الفلكلور التونسي أو من الأغاني العربية الخالدة.

حمّادي الجبالي
فنّان في صناعة الأجبان

قصة حمّادي الجبالي صانع الأجبان هي قصة المهاجر الذي أتعبته الغربة فقرّر بعد 30 سنة العودة إلى بلاده وممارسة المهنة التي تعلّمها هناك ليكسب منها رزقه بين أهله وأصدقائه. حمّادي الجبالي هو من مواليد تستور سنة 1968 زاول تعليمه في تبرسق، ثم غادر تونس عندما أتيحت له الفرصة ليلتحق بإيطاليا متابعا حلم الشباب بتحقيق الثراء والرخاء. مارس أعمالا صغيرة ومنها الاعتناء بالمواشي وتعليفها في ضيعة عائلية في جنوب إيطاليا. ومن هناك بدأت رحلته مع صناعة الأجبان التي حذقها عبر الملاحظة والمتابعة.

وفي يوم من الأيام عهد ربّ العمل لحمّادي بصناعة الأجبان في ضيعته. وقد تمكّن من صقل موهبته وكسب عدد متزايد من الزبائن حتى أصبح معروفا في القرية التي يشتغل فيها وشارك في مسابقات جهوية فاز فيها بجوائز. بعد عودته إلى أرض الوطن أصبح منذ صيف 2015 يصنع الأجبان في بيته في تستور، حيث فتح معملا صغيرا يشتغل فيه هو وزوجته وعامل آخر ثم يقوم ببيع منتوجاته بنفس المدينة وفي محل استأجره في سليانة. ينتج حمّادي الجبالي أنواعا عديدة من الأجبان ولا ينقطع عن ابتكار أنواع جديدة من الجبن بمذاقات مختلفة.

ألفة الوسلاتي
الفلاحة تقليد عائلي

ألفة الوسلاتي من مواليد 27 نوفمبر 1974 بتستور، متحصّلة على شهادة تقني سامي في الصناعات الغذائية. هي اليوم تدير أرضا فلاحية بمساحة ثمانية هكتارات مزروعة لوزا وزيتونا. جاء دخولها إلى عالم الفلاحة بإيعاز من والدها الذي يعمل مهندسا فلاحيًا، حيث اقترح عليها بعد حصولها على الباكالوريا أن تدرس في المدرسة العليا للصناعات الغذائية بحي الخضراء بتونس. وبعد تخرّجها حصلت على مقسم فلاحي بدأت في استغلاله في سنة 2005. لم يكن الأمر سهلا في البداية، ومن حسن حظها، ساعدها زوجها الفلاّح بتقديم العون المادي وتوفير الآلات الفلاحية لتتمكن من زراعة أرضها. تطمح ألفة الوسلاتي اليوم إلى توسيع نشاطها بالتعامل مع مصانع إنتاج الحلويات حيث تتولّى تجفيف اللوز وإعداده في ضيعتها قبل بيعه لهذه المصانع.

زهيرة سالم
مسيرة فنيّة ثريّة

زهيرة سالم، أصيلة باجة، هي، إلى جانب المرحومة عليّة ونعمة وسلاف، من أبرز المطربات اللّاتي بدأن في التألّق في الساحة الفنيّة منذ مطلع الستينات. تلقّت أصول الغناء على أيدي عمالقة الفنّ الموسيقي أمثال : خميّس الترنان والهادي الجويني وصالح المهدي وقدّور الصرارفي. وشاركت ضمن فرقة الإذاعة الوطنية في تسجيل نوبات المالوف التّونسي ووصلات الموشّحات الشّرقيّة. سجّلت أوّل أغنية لها سنة 1960، ويضمّ رصيدها الفنّي ما لا يقلّ عن 500 أغنية. تعاملت في تونس مع ملحّنين وشعراء كبار، أمثال : عبد الحميد ساسي ومحمّد رضا وحمّادي الباجي ورضا الخويني . كما لحنّ لها طوال مسيرتها الفنّية الثريّة موسيقيّون من ليبيا ومصر وسوريا ، ممّا أكسبها شهرة وإشعاعا في تونس وخارجها. تغنّت بجمال ربوع باجة وبخيراتها في أغنية شهيرة لها بعنوان : «باجة بلاد المندرة والصابة».

في أربعينية الجنرال محمّد سَعيد الكاتب :«قُدْوَتِي بِحَياتي مُعَلِّمِي»

بقلم: عمّو

عرفت الجنرال محمد سعيد الكاتب في أكتوبر من سنة 1972 عندما كان برتبة مقدّم مديرا للأكاديمية العسكرية بفندق الجديد وقد غادرها للقيام بتربّص خارج أرض الوطن في نهاية شهر ديسمبر من السنة نفسها. كنت أزاول مرحلة التكوين الأساسي لتكوين الضباط. ورغم قصر المدّة فإن عديد الذكريات مازالت تلوح في مخيّلتي كباقي الوشم في ظاهر اليد ولم تمح بعد كل هذه السنين ويحصل هذا في اختصاصات عديدة عندما يتأثّر الطالب بمعلّمه. ومنذ ذلك الحين لم ألتق به إلا عندما عُيّنت في خطة آمر مجموعة المهاري في استعراض 20 مارس 1989 الذي نظّم بشارع 2 مارس ببارادو..←

كانت مجموعة المهاري والخيّالة تتدرّبان معا في ثكنة منّوبة وكان الجنرال يتفقّد تدريباتنا كلّ يوم إلى أن نُفّذ الاستعراض. وبعدما تمّ تعييني آمر فوج في صيف 1989 وحتّى 24 جوان 1991 كانت لي معه لقاءات عمل عديدة لقطت منها شذرات ثمينة منها ما تزوّدت به في أوّل حياتي المهنية وبعضها صغت منها عقودا نفيسة لأعمالي الميدانية ومنها ما ادّخرته لمآرب أخرى وكلّها ذات فوائد جمّة في المهنة القيادية العسكرية. وسأكتفي بعرض عقد واحد من هذه الشذرات لما يضفيه من بهاء ومن نقاء على أسلوب القيادة العسكرية. وأعني بذلك القيادة بالقدوة وعملا بمقولة «قدوتي بحياتي معلّمي».

الجنرال الكاتب قائد عسكري ميداني تميّز بأسلوب قيادة طبيعي خال من التكلّف اعتمد في جانب كبير منه على القيادة بالقدوة. وهذا الأسلوب القيادي في ظاهره سهل المنال حيث يعتقد البعض أنّ القائد يكتفي بالإشارة أو بأمر جنوده بأن يفعلوا مثله حتى يستقيم عملهم وينفّذوا المهمة الموكولة إليهم على أحسن وجه. ولكن الأمر غير ذلك لأنّ العرض وحده لا يكفي للتلقين وإنّما يتجاوزه إلى جودة الحركة في العمل الميداني وحسن التصرّف في الاتصال بالمرؤوسين والارتقاء بهم إلى أرفع درجات الشرف في حياتهم المهنية. وهذا كلّه يتطلّب من الآمر القدوة والتحلّي بهذه الصفات والخصال حتى يمرّرها ويلقّنها لمرؤوسيه بصفة طبيعية بعيدة عن التكلّف، عملا بقوله تعالى «وما أنا من

المتكلّفين».

كان الجنرال راميا مُجيدا وفارسا ماهرا وقائدا شريفا وهي خصال لا يملكها إلا القائد الحاذق. وقد سعى طوال حياته العسكرية إلى تلقين هذه المهارات والحرص على حيازتها من قبل كل الجنود. فالرمي براعة فردية أساسية وضرورية للعمل الميداني. والحرب هي الرمي. تبدأ الحرب برمي الأهداف الحيوية للعدو بتحطيم مراكز القيادة والاتصال ثم يتواصل الرمي مستهدفا الاحتياط العملياتي إلى أن تحين الفرصة لرمي وحدات العدو المباشرة. وعادة ما يُحسم القتال بسرعة الرمي ودقته وحجمه وفي كلمة فإن القتال يحسمه الرماة الماهرون. والقائد الفذ هو الذي يربّي نشئا يحذق الرماية. ولن يتيسّر له ذلك إلا إذا كان ماهرا في هذا المجال بالذات. وكما يقول الجنرال الكاتب «Tout converge vers le tir» فأفضل تربية عسكرية تبدأ بحذق الرمي.

وإن كانت للرماية فوائد كبيرة فإنّ الفروسية تصقل مواهب القيادة عند الضابط الناشئ. وركوب الخيل أو قيادة الفرس تدريب على التواصل بالإشارة والصوت والحركة. وهي لا تختلف كثيرا في معانيها عن قيادة على الميدان للأفراد الذين يأتمرون برموز متّفق عليها أو بأوامر صوتية أو بآليات مبسّطة أو ميكانسمات. ومن ضروب الفروسية الركوب والقفز على الحواجز وسباق التحمّل وهي معاني التدريب الأساسي للمقاتل. فالركوب رياضة وفنّ قيادة والقفز على الحواجز يعلّم مكابدة الشدّة وتخطّي الصعاب وسباق التحمّل على مسافات طويلة يوطّد الصبر في القتال وتحمّل مشقّته. وكأنّ الجنرال بحرصه الدائم على التدريب على الرماية والفروسية عمل بالحديث النبوي: «علّموا أبناءكم الرماية والسباحة وركوب الخيل» ليضمن لجنوده أفضل تربية وأنبل تكوين يؤهلهم لحماية التراب الوطني بكل حزم وأمانة.

وإن كانت مهارة الرمي والفروسية تحصل بالتكوين الصحيح وبالتدريب المتواصل -وهي خصال ضرورية يطالب القائد الميداني بامتلاكها- إلا أنّها لا تكتمل إلّا عندما يؤسّس لنفسه أسلوب القيادة بالقدوة. وما ينقصه في هذه الحال إنّما هي الخصال الحميدة بل نقول إنّ خصلة وحيدة تغني عن كل الفضائل الأخرى وهي الشرف. والشرف قيمة معنوية إذا غابت عن الضابط والقائد فلن يُقبل منه فرض ولا تطوّع كما تقول العرب. والشرف هو التعالي عن كلّ تصرّف لا يستقيم إلاّ باعتدال السلوك وثبات الأخلاق الحميدة والسيرة الحسنة. والجنرال الكاتب ينحدر من عائلة ميسورة ساعده نسبه على التحلّي بقيمة الشرف فأضافت لخصاله القيادية وصقلت أسلوب قيادته بالقدوة الحسنة. نقول للجنرال الفارس الشريف كما قال الكميت بن زيد الأسدي :

سبقت إلى الخيرات كل مناضل
وأحرزت بالعشر الولاء خصالها.

رحم الله قائدا شريفا ومعلّما ماهرا وفارسا نبيلا..

الدورة 51 لمعرض صفاقس الدولي: نجاح بكلّ المقاييس

أسدل الستار يوم 18 جويلية الماضي على الدورة 51 لمعرض صفاقس الدولي الذي انتظم تحت سامي إشراف رئيس الجمهورية وافتتحه رئيس الحكومة السيد يوسف الشاهد في الخامس من شهر جويلية.

وقد اجمع الملاحظون على نجاح هذه الدورة بكل المقاييس وعلى عديد الأصعدة سيّما وقد تطوّر المعرض إلى مهرجان سنوي للتسوّق والترفيه . وتؤكّد ذلك النجاح الأرقام والبيانات المتعلّقة بفعاليات الدورة وخاصّة منها عدد الزوار الذي تجاوز 300 ألف زائر بنسبة زيادة تقدر بـ15 بالمائة مقارنة بالدورة الماضية . كما أثنى الملاحظون على روح العطاء والبذل التي تحلّى بها كافة أعضاء لجنة التنظيم واللجان المتفرعة عنها وأعضاء الهيئة المديرة والفريق الإداري بمختلف مكوناته، ممّا ساهم في نجاح الدورة.

60 سنة من النشاط

تنظّم المعرضَ سنويا جمعية معرض صفاقس الدولي التي أحدثت سنة 1957. وعملت الجمعية طوال 60 سنة في إطار العمل الجمعياتي التطوّعي على تنظيم المعارض وسلسلة الصالونات المختصة، معاضدة للمجهود التنموي الوطني ومساهمة في تنشيط الدورة الاقتصادية ورعاية لمشاغل أصحاب المؤسسات في سعيهم إلى تطوير مجال أنشطتهم وطنيا ودوليا واستقطابا لعارضين من أنحاء العالم. وتشرف على نشاط الجمعية وتسيّر أنشطتها هيئة مديرة يرأسها حاليا السيد عبد اللطيف الزيّاني وتتركّب من رجال أعمال يقومون بهذا العمل تطوّعا ولا يحصل أعضاء الهيئة المديرة ولا المنخرطون في الجمعية على امتيازات أو أرباح. وقد توفّقت الجمعية في جعل تظاهرة معرض صفاقس الدولي تتبوّأ حاليا موقعها كمهرجان سنوي للتسوّق والترفيه في صفاقس يستقطب آلاف الزوار من تونس ومن مختلف البلدان وخاصة ليبيا والجزائر.

العارضون والمعروضات

أُنجز المعـرض على مساحة 12.000 متر مربـــع تجمّعت فيهـا 5 قاعات للعرض، إضافة إلى فضاءات الهواء الطلق والمطاعم وفضاء الألعاب لاستقبال العائلات وتمكين أبنائها من متعة الألعاب والفرجة والمفاجئات. وقد شارك في هذه الدورة للمعرض 276 عارضا منهم 35 من الحرفيين الشبان الناشطين في قطاع الصناعات التقليدية. وشملت المعروضات الصناعات التقليدية والموبيليا والديكور والآلات الكهرومنزلية والإعلامية والمكتبية والاتصالات والطاقات المتجددة ووكالات الأسفار وأثاث الحدائق والملابس الجاهزة والجلود والأحذية والمواد المنزلية والبلاستيكية والتحف والهدايا ومواد التزويق والديكور والصناعات الغذائية والخزف التقليدي.وسجلت هذه الدورة زيادة في عدد العارضين بنسبة 13.5 % مقارنة بالسنة الفارطة من بينهم 21 % من العارضين الجدد الذين يشاركون لأوّل مرّة .

مميّزات الدورة 51 ومظاهر التجديد

حرصت لجنة التنظيم على وضع برنامج للدورة يتميّز بالثراء والتجديد، ومن مظاهره مزيد التفتح على المحيط الاقتصادي والتكنولوجي والاجتماعي من خلال الفقرات التنشيطية والاحتفالية، ومزيد المراهنة على الشباب بتنظيم ورشة المشاريع الناجحة والمنجزة من طرف طاقات شابة مكنت لجنة التنظيم من خلالها أصحابها من تقديم تجربتهم والترويج لها لدى المؤسّسات الصناعية ورجال الأعمال بصفة عامّة ودعمها عند الاقتضاء عبر فتح مجالات الشراكة أمامها. وبعد نجاح لعبة اليانصيب المفتوحة مجانا لكلّ زائري المعرض في الدورة الماضية عبر المشاركة بتذكرة الدخول، و بعد أن شدّت الجائزة الكبرى المتمثلة في «سيارة» انتباه رواد المعرض ونالت استحسان العديد من الملاحظين، واصلت لجنة التنظيم على نفس المنـوال بالنسبة إلى هذه الدورة ووضعت على ذمّة الزائرين يوميا سلسلة من الجوائز القيّمة توّجت بـ«سيارة» في اختتام المعرض وكان الفائز بها من بين أصحاب التذاكر المودعة بصندوق الحظّ طيلة فترة الدورة.

كما كانت بادرة بعث جائزة للمرة الأولى عبر مسابقة أحسن صورة لخطيبين من زائري المعرض ناجحة إلى حد كبير وتتمثل الجائزة في تحمّل الجمعية بعض أعباء الزواج للخطيبين الفائزين عبر حساب المعرض على الفايسبوك كتوفير قاعة الأفراح من قبل الجمعية والتكفل بتكاليف الحلاقة والتجميل من طرف صالون خاصّ. وفي سياق متصل، نشير إلى تكفّل المعرض بتأمين نقل الزائرين القاطنين بأحواز المدينة مجانا إلى منازلهم في نهاية اليوم (منتصف الليل) وذلك عبر الشركة الجهوية للنقل بصفاقس. وقدمت الجمعية بالمناسبة جائزة أحسن مشارك . وهي مسابقة خاصة بالعارضين الراغبين في المشاركة فيها أشرفت عليها لجنة تحكيم قيّمت ملفات المشاركين اعتمادا على مقاييس محدّدة تتعلّق بخصوصيات المؤسسة المشاركة وبطاقة التشغيـــل وبنسبـــة التصدير وبنسبة الاندماج وبجمالية العرض وبنوعية الاستقبال بالجناح. ومنحت الجائزة وفق ثلاثة أصناف : امتياز وتقدير واستحسان. ومن مظاهر التجديد، في هذه الدورة بادرة لجنة التنظيم التي تفاعل معها بعض العارضين (13 مشاركا) والمتمثّلة في التمتع بيوم تخفيض يختارونه ويخصّص لهم مسبقا للترويج لمنتوجاتهم ويتولّى المعرض تحفيز الزائرين على الإقبال على أجنحتهم لاقتناء تلك المنتوجات بأسعار منخفضة ومغرية.

كما أقيمت على هامش الدورة ندوة فكرية بالتعاون مع إدارة المعرض ولجنة التنظيم، نظّمتها الغرفة الجهوية للنساء صاحبات الأعمال حول «الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي كضرورة لتطوير المؤسسة» تناولت مشاغل صاحبات الأعمال بخصوص التوفيق بين متطلبات إدارة مؤسساتهن والأعباء العائلية اليومية. وتشجيعا من الجمعية لإبداعات الطلبة، مكّنت لجنت التنظيم المدرسة الوطنية للمهندسين بصفاقس من فضاء لعرض أنموذج لسيارة من تصوّر وإنتاج طلبة المدرسة تهدف أساسا إلى الاقتصاد في استهلاك الطاقة وذلك بعد أن تمّت المشاركة بها في مسابقة دولية في لندن حيث حظيت باستحسان المراقبين. وتقديرا للعمل الجمعياتي وضعت لجنة التنظيم على ذمة الجمعية التونسية للأطباء الداخليين بصفاقس فضاء للتواصل مع الزائرين والتعريف بنشاطها وجمع التبرعات. كما خصّصت فضاء تواصل على ذمة جمعية «سوسيوس» المتفرعـة عـن النـادي الرياضي الصفاقسي تشجيعا للرياضة وتقديرا للدعم الذي تقدّمه الجمعية للنـادي من خلال تعبئة الموارد المالية وتأطير الجماهير الرياضية.

بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائـــي PNUD : افتتاح فضاء المبادرة بتطاوين

إنجـم

تختزل هذه الكلمة الفلسفة التي تقوم عليها الحملة الوطنية للمبادرة الخاصة الرامية إلى مساعدة الشبان التونسيين على بعث مشاريع صغرى اعتبرتها الحكومة التونسية عاملا من عوامل النهوض بالتشغيـــل في مختلف ولايات الجمهورية.

ويساهم في تنفيذ الحملة الوطنية للمبادرة الخاصة «إنجّم» برنامج الأمم المتحدة الإنمائي "PNUD" بتمويل من الحكومة اليابانية عن طريق دعمه للاستراتيجية الوطنية للمبادرة الخاصّة. كما يسعى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بتونس، بالشراكة مع ديوان تنمية الجنوب والوكالة الوطنيّة للتشغيل والعمل المستقل والبنك التونسي للتضامن وبدعم من الحكومة اليابانية، إلى تعزيز مناخ ريادة الأعمال ودفع الاستثمار الخاص بالجنـــوب التـــونسي الذي يشـــرف على إنجازه بولايات مدنين وتطاوين وتوزر وقبلّي.

وشهدت ولاية تطاوين في الأيام الأخيرة افتتاح فضاء المبادرة التي ستعمّم على كامل ولايات الجمهورية وذلك بإشراف سيّدة الونيسي كاتبـــة الدولة للتكوين المهني والمبادرة الخاصة. يحتـــوي فضاء المبادرة على فضاء مفتوح مخصّص للشباب مجهّز بجميع الخدمات اللوجستية والدعم التقني والإداري الضروري لإطلاق المشاريع ونجاحها. وأكدّت كاتبة الدولة للمبادرة الخاصة أنّ حملة «إنجّم» تهدف إلى تنمية ثقافة المبادرة ودفع نسق إحداث

المؤسسات الصغرى باعتبارها محرّكا أساسيا للتنمية والتشغيل ومرافقة الباعثين في مختلف مراحل إنجاز مشاريعهم وتيسير النفاذ إلى مصادر التمويل والنفاذ إلى السوق، بالإضافة إلى ضرورة تبسيط الإجراءات الإدارية وتوحيد منظومة المرافقة والتمويل وحوكمة العمل التشاركي بين مختلف المتدخلين.

وأكدت سيّدة الونيسي بنفس المناسبة أنّ حكومة الوحدة الوطنية وضعت على ذمة الشباب 5 صناديق لدعم المبادرة الخاصة بقيمة 250 مليون دينار بهدف تمكينهم من القروض الصغرى ومساعدتهم على بعث المشاريع.

ومن جانبه، أكّد السيد كبير علوي، الممثل المقيم المساعد لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي "PNUD"، أنّ هذه المبادرة تسمح بالرفع من نسب النمّو المحدث لمواطن الشغل المرتبطة بإرساء منظومة متكاملة لدعم المبادرة الخاصة.

وبالمناسبة، استعرض عدد من الباعثين الشبان من أبناء الجهة قصص نجاحاتهم في مجال بعث المشاريع، كما تم تقديم إشعارات موافقة على تمويل عدد من المشاريع من البنك التونسي للتضامن في عدد من المجالات والقطاعات منها القطاع شبه الطبي وحضانة الأطفال والمطاعم وغيرها.

نجاح الخرّاز

13 أوت: الجازية و«الطّاهران»

1- في الذكرى الحادية والستين لصدور مجلة الأحوال الشخصية تتبدّى «الجازية الهلالية» رمزا للمرأة التونسية الحرّة المُلتَحِفَةُ بحصافة الرأي والإخلاص لجموع أهاليها. هذا ما سوّغ دعوتها في هذه الذكرى لمصاحبة تقييم مسيرة «الطاهريْن» اللذين واكبا مشاغلها الحديثة بما قدّماه لها من أعمال ومواقف وخصائص.

2- وُلد الأوّلُ، الطاهر الحدّاد (1899 - 1935)، بالعاصمة بعد أن نزح والداه من حامة قابس في الجنوب التونسي. نشأ في فترة عرفت حركة اجتماعية وسياسية هامة وتلقّى في طفولته تعليما بالكُتّاب التحق بعده بالتعليم الزيتوني مع انتساب إلى الجمعية الخلدونية. تتلمذ على شيوخ عصره من أمثال عثمان ابن الخوجة وعبد الحميد بن باديس. غادر الزيتونة بعد الحصول على «التطويع» سنة 1920 ملتحقا بمدرسة الحقوق التونسية منخرطا في الإصلاح السياسي والنضال الاجتماعي. نشر سنة 1930 أهم آثاره القلمية «إمرأتنا في الشريعة والمجتمع» الذي تسبّب في حملة تشهيرية ضدّه. عاش السنوات الخمس الأخيرة من حياته في عزلة ضاعفت العلل من قسوتها فتوفّي في ديسمبر 1935 تاركا من التآليف مقالات وأشعارا إضافة إلى كتاب «إمرأتنا» وكتاب «العمال التونسيون والحركة النقابية».

3- في أسرة أندلسية وفدت من «سَلا» بالمغرب الأقصى سنة 1650 لتستقر بتونس العاصمة وُلد الثاني، محمد الطاهر ابن عاشور (1879 - 1973)ونشأ في قصر جدّه للأم الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتّور بضاحية المرسى. ظلّ في رعاية الجدّ متعلما القرآن الكريم ومتلقيا دروسه الأولى بالمسجد الملاصق لدار جدّه بالعاصمة قبل الانخراط سنة 1892 في طلبة جامع الزيتونة حيث تلقى علوم العربية والشريعة على ثلّة من المشائخ مع دروس خاصة للغة الفرنسية. نال شهادة التطويع سنة 1903 مرتقيا بعدها مدارج التدريس بالجامع الأعظم وبالصادقية ومُكلّفا بالمسؤوليات الإدارية كالنظارة العلمية الزيتونية (العمادة) ولجنة إصلاح التعليم ومجلس الأوقاف الأعلى إلى جانب القضاء المالكي سنة 1913 فالإفتاء سنة 1923. بعد نيله رتبة كبير أهل الشورى المالكية سنة 1927 ارتقى ابن عاشور سدّة المجلس الشرعي إذ عُيّن سنة 1932 أوّل شيخ للإسلام المالكي. تولّى مشيخة الجامع الأعظم وفروعه مرتين الأولى سنة 1932 ثم سنة 1945 قبل أن يُكلّف بعمادة كلية الزيتونية سنة 1956. له تراث تأليفي زاخر في التفسير والسيرة والفقه وعلوم العربية والآداب وفي التعليم والتاريخ مع رسائل ومقالات عديدة في الإصلاح والاجتهاد.

4- «الجازية» الحديثة، من جهتها، كانت أحد أهمّ شواغل تونس منذ نهاية القرن 19 حيث برز الاهتمام بأوضاعها وبتحريرها بالتعليم خاصّة. تحقّق ذلك بجلاء عندما تَبَنَّتْ صحيفة «الحاضرة» قضيّتها باعتبارها أحد مسالك النهضة المرجوّة وتابعتها في ذلك غالبية الصحف الناطقة بالعربية ممّا أدّى إلى نتائج لافتة. فمن 13 فتاة فقط في المعاهد العمومية سنة 1905 صِرْنَ 120 سنة 1907 ليبلغ عددهن 5511 سنة 1935 وينتهين إلى 6000 فتاة سنة 1938.

ما يسترعي الانتباه إضافة إلى هذا التطور العددي الخاص بالتعليم اتساعُ حراك المرأة التونسية ضمن المجتمع الحضري والريفي في رهان مندفع للتعلّم لم تستطع الأوساط التقليدية معاندته.

في هذا يجدر استحضار عدة نماذج دالّة من التونسيات اللاتي استطعن تجسيد هذا الحس التمدُّني الواضح. نذكر مثلا توحيدة بالشيخ (1909 - 2010) أصيلة بلدة راس الجبل من ولاية بنزرت التي تخرّجت أول طبيبة تونسية ومغاربية من فرنسا سنة 1936 مع نشاط مدني ضمن الاتحاد النسائي الإسلامي التونسي. معها تبرز بشيرة ابن مراد (1913 - 1993) من عائلة علم وخطط شرعية بالعاصمة حيث تولّى والدها محمد الصالح ابن مراد مشيخة الإسلام الحنفي. أسّست بشيرة سنة 1938 الاتحاد النسائي الإسلامي التونسي مع نشاط صحفي تدعو فيه إلى تعليم المرأة وانخراطها في النشاط العلمي والخيري للمجتمع.

ثالثة النماذج سعاد خَتّاش (1917 - 2003) حرم الشيخ المناضل محمد الصالح النيفر. تولّت رئاسة فرع لجمعية الشبان المسلمين باسم «السيدات المسلمات» صحبة شخصيات نسائية عديدة لبثّ الوعي ولمساعدة المعوزات وتمكين الفتيات من التعليم والتربية.

5- من هذه النماذج تتكشّف فاعلية المجتمع وقدرته على التغيير والتطور ومدى ما يحقّقه من مراجعة ويؤسّسه من تناغم في الفرد أيّا كان موقعه وقناعاته. لقد تراجع التوجُّس الموروث من تعلّم الفتاة نتيجة دينامية المجتمع المدعوم بالحسّ التمدّني وبحريّة الصحافة والعمل الجمعياتي. لقد انتهى الأمر بعدد من شيوخ الزيتونة المعروفين أن يكتبوا أو يحاضروا مؤيّدين هذا التوجّه التحرّري الذي كانت ترنو إليه «الجازية الحديثة». ذلك كان شأن الشيخ عثمان ابن الخوجة بما نشر من مقالات وكذلك ما حاضر به الشيخ المختار ابن محمود عن ضرورة تعليم الفتيات وتربيتهن. أكثر من ذلك فإنّ صاحب «الحِداد على إمرأة الحداد» مكّن ابنته بشيرة وأخواتها في الاتحاد النسائي الإسلامي التونسي من ركن مستديم في مجلّته «شمس الإسلام» لنشر أفكارهنّ المتعلقة بـتعليم المرأة وإصلاح أخلاقها.

6- عنـد هـذا الحـدّ يتعيّـن، مـع ذكـرى 13 أوت أن نحـدّد المقـاربة التي اعتمـدها كلٌّ مـن «الطاهـريْن» فيمـا قـدّماه لإرسـاء واقـع مغـاير للجـازية الحـديثـة والمعاصرة.

اعتمد الحداد في أقسام كتابه: الاجتماعي والتشريعي والاستفتائي الموجّه لرجال المجلس الشرعي مقاربةً إشكالية ثلاثية الأبعاد. أوّلها يجلّيه العنوان: «إمرأتنا في الشريعة والمجتمع» فيما يبرزه مستوى الواقع الاجتماعي للمرأة. عن هذا القسم تتكشّف الأزمةُ الخانقة لمؤسسة الزواج والأسرة وما يتفرّع عنها من تفشٍّ لظاهرة الطلاق وما اتصل بها من مشاكل تعدّد الزوجات وما تحيل عليه من عوائق تعلمية وتربوية للرجل والمرأة على السواء. في هذا المستوى الأول يُقرُّ الحداد بحاجة المرأة للتعليم والتربية لكنه لا يقتصر على ذلك.

يتعلق المستوى الثاني بطبيعة الخطاب التشريعي في صيغته السائدة ومدى قدرته على توليد ما تتطلبه مؤسسة الزواج والأسرة من معالجات. في هذا تبرز الفكرة الناظمة للكتاب بكافة أقسامه. يظهر ذلك حين يسأل الحداد عن حقّ المرأة في اختيار الزوج وهل لوليّها أن يختار مكانها؟ ثم يطرح مسألة حريّة المرأة الرشيدة في تصرفها المالي وهل للزوج ولاية عليها في ذلك أو تفويض جبري؟ يتواصل الإشكال مع حقّ الطلاق وما يمكن أن تُطالَب به المرأة من ضمان لها وهل هذا الحقّ بيد الرجل يوقّعه متى شاء و بلا حدّ؟ لينتهي بسؤال: إلى ماذا نعزو الامتياز الذي يتمتع به الرجل إزاء المرأة؟

صميم هذه الأسئلة يرجع إلى المستوى الثاني التشريعي بما يحيل على «قيمة المساواة» التي يبرزها الحدّاد في أحد أسئلته للمجلس: «هل المرأة في البيت رفيق مساوٍ للرجل يعملان باشتراك في الرأي والتنفيذ أم أنها قاصر تحت رعايته كأداة لتنفيذ أوامره» ؟ مع هذه الأسئلة ومع إجابات الشيوخ نصل إلى المستوى الثالث من مقاربة الحدّاد وهو المستوى المنهجي المميّز لمعالجته قضية المرأة.

في هذا المستوى بالذات تبرز إجابات الشيوخ بما فيهم الشيخ ابن عاشور مفتقرة لمنهج محدّد في التعامل مع نصوص الشريعة وفهمها وفق ما يستلزمه التطور التاريخي وما يستدعيه الواقع المتغيّر.

7- عندما نمعن النظر في أعمال الطاهر ابن عاشور الخاصة بالمرأة ندرك بيسر اختلافه النوعيّ لمقاربة سَمِيِّه. كان ثاني «الطاهريْن»، وفق عبارة الشاطبي، رجلا «رَبّانياً من علوم الشريعة، أصولها وفروعها منقولها ومعقولها، غير مُخلِد إلى التعصّب للمذهب». بذلك كان ابن المؤسسة التعليمية الزيتونية بامتياز في الجانب الرئيس من منهجها والمُتمثِّل لما كانت تواجهه من مصاعب داخلية وخارجية نهاية القرن 19 ومطالع الـ20. يؤكد هذا هاجسُه الدفاعي فيما ذكره في تفسيره قائلا :»رأيتُ الناس حول كلام الأقدمين أحدَ رجلين: رجلٌ معتكفٌ فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذٌ بمعوله يهدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضرٌّ كثير...». هل نستغرب بعد ذلك إدانته الرسمية لكتاب الحدّاد الصادرة عن اللجنة العلمية المكونة في الجامع الأعظم التي ترأسها لما احتواه الكتاب من «أوجه كثيرة من الضلال والتضليل... بما يعتبر مروقا عن الدين وتمرّدا على إجماع الأئمة من علماء الإسلام ومحاربة الرسول الأعظم...»؟

في نفس الخط الحمائي تتضافر كتابات ابن عاشور الخاصة بقضايا المرأة مكرِّسة اعتبارَها حقائقَ اجتماعية سائدة نظّمها المُشرِّع كقضية المهور وتعدد الزوجات للعبيد والمساواة والقوامة. مع ذلك فقد اعتمد مقاربة مغايرة لمسألة ضرب المرأة ولباسها دون التوصل لمنهج مميّز في التعامل مع النصوص التشريعية قصد إعادة بناء المنظومة الثقافية للمجتمع بما يجعلها في مستوى التفاعل مع السياق الحضاري الصاعد.

8- ما تفيده اليوم اهتمامات «الطاهريْن» أنّ اتحادَهما في المسعى الإصلاحي لا ينبغي أن يُغفِل اختلاف رؤيتهما لطبيعة المعالجة ومجالاتها ومنهجها. هي عند الحدّاد مرتبطة بتعلم المرأة والرجل وبطبيعة الثقافة الفقهية السائدة وبالمنهج المعتمد القادر على بناء منظومة ثقافية وتشريعية مجدّدة للمجتمع، في حين أنّ عناية ابن عـاشـور تركّزت على تعطّل البناء الفكري الفقهـي والأصولي بما يجعل منتهى التزامه هو إصلاح المؤسسة التعليمية العريقة نظاما وبرامج.

على هذا يكون سؤال «الجازية» فيما يشغلها اليوم من مستجدات متعلّقا بما كشفه «الطاهران» من انسدادات للمعرفة الشرعية وما تتطلبه من تقعيد نظري ومنهجي بديل. هو سؤال التحدّي المطروح على الذات الوطنية، امرأةً ورجلاً وأسرةً وقانونًا ودولةً، في حاجتها إلى المؤسسة المرجعية المتيحة للتموقع العلمي والقيمي في العصر والقادرة على أن تتغلب على التناقضات الداخلـية لتلـك الـذات بما يمكّنهـا من الفـاعلية في بيئتـها الخارجية.

ا.ن.

بقلم د. احميدة النيفر • رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدّد

رائـــدات تـــونســـيّـــات

سلوى الخضار زنقر

يقول الطاهر الحدّاد: «المـــرأة نصف الإنسان وشطر الأمّة نوعا وعددا وقوّة في الإنتاج من عامّة وجوهه... وإذا كنّا نحبّها ونحترمها ونسعى لتكميل ذاتها فليس ذلك إلا صورة من حبّنا واحترامنا لأنفسنا وسعينا في تكميل ذاتنا...».

يحفل تاريخ تونس ببصمات نسائية عميقة الأثر وإن أغفل المؤرّخون عن قصد أو غير قصد عن ذكرها عند استقرائهم للأحداث التاريخية، فتراثها لا يعدّ وقد تعاقبت عليه الأزمنة. وما من شكّ أنّ الرجل بُهر منذ أقدم فترات الإنسانية ولا سيّما منذ عصور ما قبل التاريخ بالقدرة على الإنجاب التّي وهبها الخالق للمرأة. ولعلّ هذا الانبهار هو الذي حدا بالرجل منذ العهد الكبصي إلى نحت صور نسائية على الحجر الكلسي. ويزخر التاريخ بأسماء يرنّ لها صداها في قلوبنا ولعلّ أبرزها علّيسة الفينيقية الشرقية والمؤسسة التي جادت بنفسها من أجل بقاء قرطاج واستمرار مجدها، والكاهنة تلك البربربة التي جمعت بين شجاعة المحاربين وبُعد نظر الحكماء فجازية الهلالية تلك التي سحرت بجمالها وتمكّنت بفطنتها وقوّة شخصيتها من نسج أسطورة. أمّا السيدة المنوبية التي آثرت التصوّف فقد علّمتنا أنّ سبيل الحريّة يمرّ بالمعرفة والبحث عن الحقيقة. وكما سجّل تاريخ تونس في أوائل عهد البايات أسماء بعض النساء اللّاتي لعبن دورا متميّزا في مجتمعهنّ أمثال الأميرة عطف، فالأميرة عزيزة عثمانة...ولكن بمطلع العصور الحديثة، بدا عدد التونسيات اللّواتي تعلّمن وأبدعن في ميدان الأدب والعلوم والفنّ ضئيلا جدّا لا يمكن مقارنته بعددهنّ في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية بالقيروان والوثائق المتوفّرة لدينا بمتحف باردو ترمز بالتحديد إلى عهد المعزّ بن باديس رابع خلفاء الزيريين الذي حكم تونس في القرن الحادي عشر ميلادي (1062 – 1096) فتذكر هذه الوثائق أمّ ملال عمّة المعزّ إذ كانت وصيّة عليه عندما اعتلى العرش في التاسعة من عمره فشاركت أخاها في تسيير شؤون الدولة ثم أمّ العلو أخت المعزّ، ففاطمة الحاضنة، حاضنة باديس ثمّ ابنه المعز...وكانت وضعيّة المرأة متميّزة آنذاك. نشير كذلك إلى الصداق القيرواني وهو عقد زواج عرفه المجتمع القيرواني منذ القرن الثامن م وبقي راسخا طيلة إثني عشر قرنا إلى حين صدور مجلّة الأحوال الشخصية وينصّ على أنّ الرجل لا يتزوّج ثانية إلاّ بالحصول على موافقة الزوجة الأولى وفي حال حصول ذلك دون رضاها فلها كامل الحقّ في طلاق الزوجة الثانية...ثم خيّم الظلام فبمطلع العصور الحديثة بدت المرأة التونسية كأخواتها في سائر الأقطار الإسلامية بعيدة كلّ البعد عن الحياة العامّة وقد كبلتها الثقافة السائدة والعقليات المتحجّرة. فكانت تربية البنت تقتصر على تعلّم شؤون المنزل والخياطة والتطريز إما بالمنزل أو بالحيّ «بدار المعلّمة» (عدد ضئيل من الأسر الأرستقراطية تدفع المصاريف لشيخ مؤدب يأتي إلى المنزل لتعليم بعض السور من القرآن...).

وفي بداية القرن العشرين في مجتمع هزّه الاستعمار وأرهقه نادت النخب التونسية بضرورة تعليم المرأة والرفع من شأنها وأدرجت ذلك ضمن رؤيتها للنهوض بالمجتمع والتصدّي لهيمنة الغرب. كانت المرأة في نظر الوطنيّين، باعتبارها مربية للأجيال، ركنا أساسيا في سعيهم للدفاع عن الكيان التونسي، في حين راهن عليها المستعمر لتمرير مخطّطاته للقضاء على المجتمع التونسي وكانت الصحافة التونسية تتابع جلّ أفكار روّاد حركة الإصلاح بالمشرق من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده والذين حاولوا التوفيق بين الإسلام والحداثة الغربية وكذلك أراء الإصلاحيين أمثال رفاعة الطهطاوي وخاصّة قاسم أمين...على كلّ، اتّفق الجميع على ضرورة تعليم البنت المسلمة للنهوض بالمجتمع ولكن اختلفت الخطب واحتدمت المجادلة حول نمط التعليم المقصود والغاية منه : ثقافة عربيّة أم ثقافة غربية؟ لغة عربيّة أم لغة فرنسيّة؟ وتحولت إلى منابر صحف النهضة و«مرشد الأمّة» و«البدر» و«لسان الشعب» و«الحاضرة» و«الصواب»...

وجب الاعتراف هنا بأنّ النساء كُنّ غائبات عن هذا النقاش فمنابر التعبير كانت لا تزال حكرا على الرجال بل على أقليّة من الرجال المتعلّمين. وفي هذا السياق انطلقت أوّل مدرسة لتعليم البنت المسلمة في 1 ماي 1900 بخمس فتيات، فكانت المدرسة بالنسبة إلى الأجيال الأولى أوّل انفتاح على آفاق العالم الرحبة. ناهيك أنّ كلّ الإصلاحات التي شهدتها تونس خلال الفترة السابقة لانتصاب الحماية الفرنسية والهادفة إلى جعل التعليم متماشيا مع تطور العصر (إعادة تنظيم التعليم بجامع الزيتونة 1870 – 1877 وإنشاء المعهد الصادقي 1875) لم يتضمّن أيّ إجراء لصالح البنات اللّائي لم يكن التعليم لا في الكتاتيب ولا بالجامع الأعظم متاحا لهنّ.

وفتحت في سنة 1908 العديد من المدارس بالمدن التونسية : بسوسة والقيروان ونابل... ولعبت تونس في هذا السياق دورا رياديّا مقارنة بجيرانها. وفي بداية العشرينات من القرن الماضي، قطعت بعض الأصوات النسائية الصمت مؤذنة ببروز بوادر لاضطلاع المرأة بمهمّة الدفاع عن قضيّتها بنفسها وأبدت هؤلاء الرائدات جرأة لافتة بمواقفهنّ وكانت الأولى سنة 1924 والثانية سنة 1929 حين اعتلت منّوبية الورتاني ثمّ حبيبة المنشاري المنبر الفرنسي معلنة عن سفورها. فكانت الزوبعة في أوساط المثّقفين فعمّ الهيجان والسخط...إلا أنّ صوتا تميّز عن الجميع ببعد نظره وهو صوت الطاهر الحدّاد إذ اقترح برنامجا متكاملا لتعليم البنت يجمع بين المعارف العامّة والعلوم الصحيحة فتعالت الأصوات بين ساخط ومؤيّد ومناهض لمشروع الحدّاد الذي اعتبره طرف ثالث سابقا لأوانه ويقول في هذا السياق المحامي الشاب الحبيب بورقيبة: «هل يعني ذلك أن علينا، كي نحافظ على ذاتيتنا، أن نصُدّ أيّ تقدم أو نردّه؟ إنّ التطوّر يجب أن يحصل وإلاّ فمآلنا الموت، سيحصل التطوّر ولكن دون تصدّع ودون القطيعة...إنّ الحجاب والشاشية...سيندثران لاحقا عندما يصبح مثل هذا التطوّر ثمرة لتأكيد شخصية تتغيّر عندما يصبح مثل هذا التطوّر ثمرة لتأكيد شخصيّة تتغيّر من الداخل وليس تشبّها وذوبانا في شخصية أخرى». (L'Etendard Tunisien 1929)

وكان على التونسيات أن ينتظرن سنة 1944 لتُفتح المدارس الفرنسية-العربية ليتمكنّ من الارتقاء إلى المعاهد الإعدادية والمعاهد الثانوية ومع ذلك لم يتجاوز عدد التلميذات بالمعاهد الثانوية 1060 تلميذة سنة 1954 مقابل إثنتين فقط سنة 1902 وقد سجل التاريخ أسماء 50 فتاة فقط اجتزن امتحان الباكالوريا سنة 1954.

إذن، وإن أمكن القول إنّ التعليم لعب دورا لا جدال فيه في تطوّر الفتاة التونسية فإنّ تأثيره يبقى محدودا وهذه المحدودية تؤكدها الأرقام : 10 % فقط من الفتيات اللاتي بلغن سنّ التعليم مرسّمات بالمدارس. وفي هذا الصدد نشير إلى سبب ثان في غاية الأهمية إذ يجدر التّذكير بأنّ تونس شهدت في الثلاثينات العديد من الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية تزامنت←

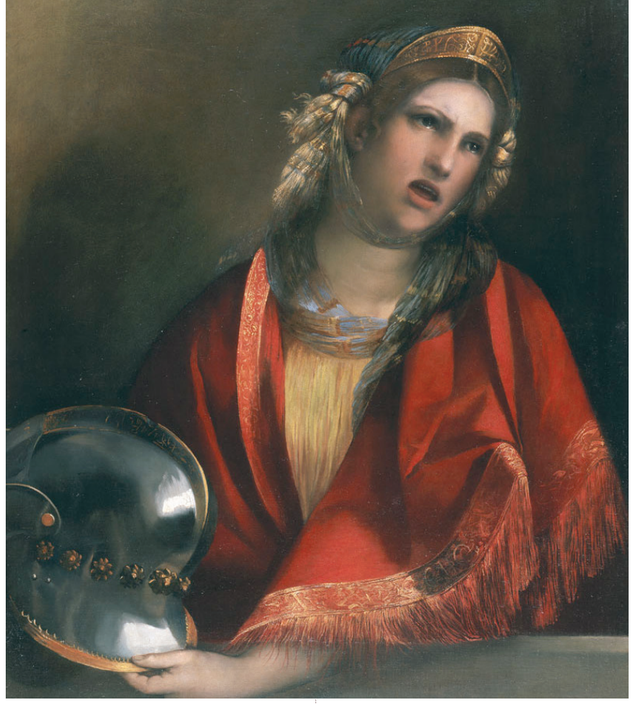

مع ظهور جيل جديد من المناضلين وأثّرت أيّما تأثير في حياة المرأة التونسية وبرزت خلال تلك الفترة ثلاث منظمات نسائية كان لها نشاط ملحوظ وهي:

1 - الاتحاد التونسي للنساء المسلمات (الاتحاد النسائي الإسلامي بقيادة بشيرة بن مراد) وقد أصبح سنة 1944 الاتحاد النسائي التونسي وصدر آنذاك العدد الأوّل من مجلة نسائية «ليلى».
2 - الفرع النسائي لجمعية شبان المسلمين سنة 1944 بقيادة سعاد ختّاش.
3 - نادي الفتاة التونسية سنة 1954 بقيادة توحيدة فرحات.

وبدأت المنظّمات النسائية تحتلّ مكانها على الساحة حول الأحزاب السياسية وبذلك يكون الإطار الجمعياتي قد أسهم كذلك في نحت شخصية الفتاة التونسية. ومن المؤسف أنّ التاريخ المعاصر قد أغفل في معظم الأجيال ذكر هؤلاء النساء في تاريخ النضال الوطني غير أنّ وثائق الأرشيف التابع للشرطة الاستعمارية يوفّر العديد من الشهادات والصور فتشير إلى أوّل حضور نسائي في الاجتماع الذّي نظّمه الحزب الحرّ الدستوري الجديد في جانفي 1937 بحديقة قُمبتّا.

كانت النساء المتظاهرات في يوم 18 أفريل 1938 بالمئات وكنّ يساعدن على تأجيج الهيجان الشعبي وعلى سريانه من سطح إلى سطح بإطلاق الزغاريد وتزويد المتظاهرين بالأدوات والأسلحة. لقد أكّدت المرأة المناضلة حضورها الفاعل بصيغ متنوّعة ومغايرة لصيغ نضال الرجل حيث روّجت شعارات الحزب ونظّمت الحملات السّرية لجمع التبرّعات ولعبت دور الخفير لرصد حركات المستعمر وزوّدت المقاومين بالأسلحة والمؤونة وشاركت في بعض العمليّات الميدانية المحدّدة مثل تخريب خطوط التراموای.

وقد ناضلت المجموعة النسائية المنتمية إلى الأحزاب في البداية في كنف السرية ودون هيكلة. وكانت اجتماعاتها تنعقد في الحمّامات العموميّة والزوايا والمساجد. وظلّت هذه الخلايا تعمل إلى سنة 1950 حين أعلن الحزب الحرّ الدستوري رسميًا وجودها في صفوفه. وقد لعبت دورا بارزا في مظاهرات 1951 – 1952 وأسفرت هذه المظاهرات عن العديد من الإيقافات وعمليات الاستعباد الجماعي إلى معتقلات رمادة وبن قردان. وامتدّت الاضطرابات إلى المدارس والمعاهد، ممّا أجبر سلطات الحماية على تعيين أوّل تونسية مديرة لمدرسة لويز روناي ميي Louise Renée Millet (التي أطلق عليها لاحقا اسم مدرسة نهج الباشا)، فأدارت زبيدة عميرة المدرسة من سنة 1952 إلى سنة 1974. وهكذا لم تسفر الثقافة المزدوجة التي تلقّتها الفتاة التونسية في المدرسة عن اجتثاثها من جذورها بل حوّلتها إلى شخص مسؤول ومتفتّح على العالم العصري وحلّت محلّ البنت المطيعة والخاضعة فتاة تتحلّى بالمسؤولية سرعان ما وعت بمخاطر الاستعمار.

ختاما يمكن القول إنّ تطوّر المرأة التونسية تمّ ببطء ولكن بثبات لا فحسب عن طريق المدرسة والإطار الجمعياتي بل وكذلك في خضمّ العمل الاجتماعي والنضال الوطني فقدّمت من خلال مقاومتها للآفات الاجتماعية وللاستعمار ومن خلال تضامنها مع المعتقلين الدليل على أنّ حاجة المجتمع إلى نسائه لا تقلّ عن حاجته إلى رجاله. كانت تونس المستقلة في مستوى آمال روّاد ورائدات تحرير المرأة وتضحياتهم. ويعدّ إصدار مجلّة الأحوال الشخصية في 13 أوت 1956 قرارا ثوريًا فاندرجت ضمنه وماتزال حركة تحرير المرأة في تونس. ومن أهمّ دعائم هذا الإنجاز الذي أقدم عليه الزعيم والرئيس الأوّل لتونس المستقلة الحبيب بورقيبة إعادة تنظيم الأسرة على أساس تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة. وفي هذا السياق تمّ التخلّي عن الحجاب وحصلت المرأة على حقّ التصويت وفتحت أبواب المدارس على مصراعيها حيث غدا التعليم إجباريًا ومجانيا للجميع ممّا يسّر لها العمل بأجر منتظم. وهناك من المؤشرات البالغة الدّلالة ما يحقّ لتونس أن تفتخر بها فحوالي 99 % من التونسيات اللّاتي بلغن من العمر 6 سنوات يزاولن الدراسة وقد فاقت نسبة البنات في التعليم الثانوي 52 % من مجموع التلاميذ وبلغ عدد البنات في التعليم العالي نسبة 51 % من المجموع الجملي للتلاميذ.

كما اندمجت التونسيات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بدرجة متميّزة إذ تمثّل ربع السكان الناشطين فنجد من بينهنّ المدرّسة والطبيبة والمحامية وقائدة الطائرة وصاحبة الأعمال...إضافة إلى دورهنّ في الحياة السياسية والنشاط الفكري والفنّي مثل المسرح والسينما والرسم والموسيقى والرياضة. وهكذا برهنت التونسيات على أنّهنّ خير خليفة لعلّيسة ومازلن يرفعن التحدّيات ويتصدّين للرجعية للحفاظ على مكتسبات تونس الحداثية. ولأنهنّ أسهمن في نحت تاريخ هذه الربوع فإنّهن غدون جديرات بالتحية والثناء والمرأة التونسية بالأمس واليوم هي تلك البربرية والفينيقية والقرطاجنيّة والرومانية والبيزنطية والعربية المسلمة، وليدة هذا البلد الصغير، الممتدّ تاريخه على ثلاث ألفيات، والذي يمثّل نقطة التقاء لحضارتين: حضارة شرقية وحضارة غربية تركتا أثرا خالدا في تاريخ الإرث الكوني للإنسانية..■

س.خ.ز
مديرة البحوث التاريخية
بالمعهد الوطني للتراث

يوميّـــات مـــواطن عيـــــاّش

مبـــــروك الفـايسـبـــوك!

عادل الدّهر

مثل كـــل صبـــاح، ويـــا رزاق يا فتاح، أسرعت اليوم إلى فتح الفايسبوك، وأنا أقول في نفسي : «إن شاء الله النهار مبروك». فالأخبار على هذه الشبكة الاجتماعية، ليست دائما منعشة إيجابية، بين إعـــلان وفيـــات، وأنباء عن كوارث وحوادث طرقات، وجرائم قتل وسرقـــات، وصور قاتمة عن أوضاع الإدارات والمستشفيات، أضف إليها شكوى الفايسبوكيين والفايسبوكيـــات، من قلق وضجر، وحبيب هجر، أو مـــن مرض خيالي، ووحدة في عقابات الليالي، إلى غير ذلك مما يسبب القرف، ومع ذلك فإننا لا نقول للفايسبوك «أف !»، بل إن إدماننا يرتفع كالزئبق في المحرار، كلما ساءت على الشبكة الأخبار.

لكن الفايسبوك كـــذّب اليوم توقعاتي السلبية، إذ فاجأني بخبر كان عنـــدي كالهديـــة : لقد انضم صديقي العياش إلى الشبكـــة الفايسبوكية، بعد مقاطعة لها كنت أحسبها أبدية. فقد كان له من الفايسبوك موقف عداء، لا يماثله إلا موقف المحور من الحلفاء، وقد شرح لي أكثر من مرة، أسباب هذه العداوة المرة : «قل لي براس بوك، آش يعجبك في هالفايسبوك؟ إنه فضاء للتفخيخ والتفشفيش، وإن لم يكن لذلك فهو للتقطيع والترييش، أو لتبادل السباب والشتيمة، وزرع الفتنة والنميمة. ولا تنسى ما يدور فيه من أخبار زائفة، وإشاعات قاتلة، ومعلومات تافهة، وصور فاضحة، ونكت بائخة، ما أغنانا عنها نحن العرب، وقد عرفنا في العالم كله بأننا آخر من يقرأ الكتب!».

فما الذي غيّر رأي صديقي، بعد أن شيّح لي ريقي، وأنا أقنعـــه بالالتحاق بالشبكة ولو على سبيل التجريب، لكن هيهات، فما من مجيب... وعندما هاتفت العياش لأسأل عن الأسباب ، التي أدت إلى هذا الانقلاب، وجدته يبحث لنفسه عن الأعذار، وكأنه قد أتى ضربا من ضروب العار: «والله خذيت بخاطر لولاد، فقد ألحوا عليّ أن أفتح حسابا مثل كل العباد، وأقنعوني بأن الفايسبوك مثل الحياة، فيه الخير والشر بدرجات، وأنه يمكن لي أن أبقى متفرجا مـــن ثقـــب الباب، وإذا لم يعجبني الجو أغلقت الحساب».

ثم جاء زمن انشغلت فيه عن الفايسبوك لأسباب طارئة، ولما عدت إلى الشبكة أخذت أبحث عن أخبار العيـــاش الطازجة، فوجدته معلنـــا بكل أريحية، عن وجوده بنزل على شاطئ المهدية، لقضاء جانـــب مـــن العطلة الصيفية. وعندما هاتفته مهنئا ضحك من سذاجتي، وقلة نباهتي: «حتـــى إنت جدّت عليك يا بهلول! يا ولدي، لا أوتيك ولا مهدية ولا هم يحزنون ! أنا الآن أمام المكيّف، والتدوينة التي قرأتها على حسابي خبر مزيّف».

قلت : «وكيف تسمح لنفسك بهذا ؟»، فأجابني: «أو تريد أن يقول أصدقائي الفايسبوكيون، أنني رجل مغبون، نسلت في العرق في الدار، بينما هم يسبحون ويمرحون في الشواطئ والبحار؟». فقلت: «لكن شكون قال لك ماهمش كذابة كيفك، وصيفهم كيف صيفك ، قاعدين تحت «الكليم»، ويكتبون على الفايسبوك أنهم في نعيم، يحتضنهم نزل بخمس نجوم، وشايخين في البحر بالعوم؟».

فرد العياش بكل صلافة : «وآنا شنوة مشكلتي إذا طلعوا كيفي زفزافة ؟ المهم أني في عيون مثلك من المصدقين، جالس في نزل حول «البيسين»، فيحمص بعضهم ويعزّل من الحسد، ويقول آخرون: صحة عليه شايخ واحنا في نكد...والمهم أن صورتك في نظر الناس لا سوء ولا سوية، وما تخسر عليها في الفايسبوك كان سطرين وشوية».

عند ذلـــك تأكـــدت أن العيـــاش استصين وولى فايسبوكي صحيح، وما عادش نخاف عليه لا من هواء ولا من ريح.

ع.ل

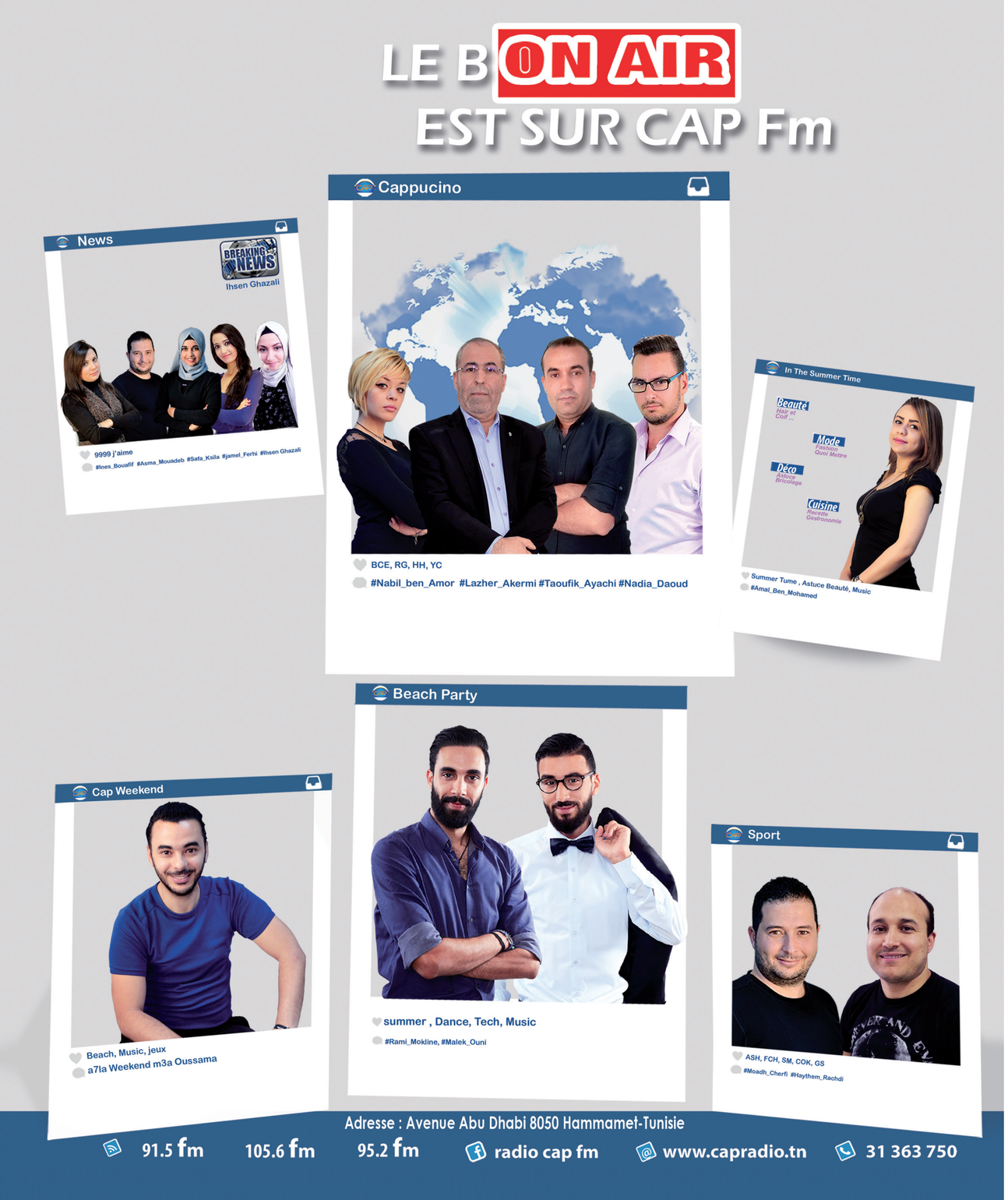

خارطة طريق جديدة للدبلوماسية التونسية

بقلم رشيد خشانة

إذا استثنينا فترة الاستقلال وبناء الدولة لم تكن تونس بحاجة إلى دبلوماسيتها بقدر ما هي مُحتاجة إليها اليوم، لمعاضدتها في الخروج من المضيق الذي تعبُره. ولتحقيق هذا الهدف لابُدّ للدبلوماسية، باعتبارها آلية تنفيذ للسياسة الخارجية للدولة، من خطة واضحة تكون مستوحاة من أولويات البلاد الوطنية، وانعكاسا لها.

تفرض التغييرات الإقليمية الأخيرة، وفي مقدمتها الأزمة التي تعصف بالاتحاد الأوروبي وتعطّل مسار التكامل المغاربي، مُعاودة النظر في طبيعة علاقات تونس مع شركائها الإقليميين من أجل ضبط توجهات جديدة في إطار خارطة طريق، تتضمن أولويّات البلاد في الفترة المقبلة. ويمكن القول إنّ الانعطاف المُرتقب في الدبلوماسية التونسية مهّدت له الإصلاحات التي أعادت إلى تلك الدبلوماسية تألّقها وحرفيتها ومكانتها الإقليمية والدولية، خلال السنتين الأخيرتين، بعد محو آثار مرحلة الهواية والتخبّط التي زعزعت الصورة المألوفة عن رصانة الدبلوماسية التونسية.

اختلال في التوازن

يتركّز الانعطاف المُرتقب على منح الأولوية مستقبلا للعلاقات مع القارة الإفريقية وبخاصة في المجال الاقتصادي، بعدما عرفت الشراكة مع الاتحاد الأوروبي اختلالا في التوازن ما فتئ يتعمّق، بفعل تعطّل الإنتاج المحلي وتعثّر الاستثمار. أمّا المجال المغاربي فمازال مُقفلا تقريبا في وجه فرص التعاون والتكامل الإقليمي الصناعي والتجاري. من هذه الزاوية تبرُز إفريقيا (التي نحن جزءٌ منها) مجالا بكرا وساحة مفتوحة أمام الشركات والخبرات الفنية التونسية، مثلما برهنت على ذلك التجربة المغربية، التي حازت قصب السبق في اكتشاف خصوبة إفريقيا جنوب الصحراء، وقد كسب المغاربة الكثير بفضل ذاك السبق. وفي هذا الإطار سعت الندوة السنوية الأخيرة لرؤساء البعثات الدبلوماسية والقنصلية إلى صياغة خارطة طريق للسنوات المقبلة، انطلاقا من تشخيص الواقع الراهن.

وقد كانت تونس من أوائل البلدان التي اهتمّت بالمجال المُمتدِ جنوب الصحراء منذ ستينات القرن الماضي، إذ قام الرئيس بورقيبة بجولة في ثمانية بلدان في غرب إفريقيا استمرت خمسة أسابيع. غير أنّ ذلك الاهتمام لم يلبث أن خفت في الفترات اللاحقة، إذ أولت تونس الاهتمام الأكبر لأجندا الشراكة مع الاتحاد الأوروبي (تمّ التوصل إلى اتفاق شراكة بين تونس والاتحاد في 1995، وكان الأوّل من نوعه مع بلدان جنوب المتوسط). مع ذلك كانت عناصر التاريخ والجغرافيا والثقافة تُغري بالاتجاه جنوبا، مع الإبقاء في الوقت نفسه على علاقات متميزة مع الاتحاد الأوروبي. وبالرغم من أنّ تونس أهدرت وقتا طويلا وثمينا بعد الثورة، فإنّ التدارك مُمكن اليوم إذا ما حدّدنا أهدافنا بوضوح وأعددنا العُدة اللازمة لتحقيقها. وعدّد السفراء الذين تحدّثوا في الندوة السنوية الأخيرة لرؤساء البعثات الدبلوماسية والقنصلية الفرص التجارية المُتاحة لتونس في بلدان ناهضة تُحقق نسب نموّ عالية.

قوّة صاعدة

واللافتُ للنظر أنّ تلك البلدان لم تعُد عالة على المعونات الغربية، وإنّما أصبحت اليوم دولا صاعدة. بل يمكن القول إنّ البلدان الإفريقية هي التي «تساعد» البلدان الغربية اليوم وليس العكس، إذ أنّ التحويلات المالية من إفريقيا إلى الخارج وصلت إلى 60 مليار دولار، بينما لم يتجاوز حجم المعونة الدولية المقدّمة للتنمية في القارة الإفريقية 50 مليار دولار.

وكشف تقرير أصدرته مؤخرا مجموعة «Group Consulting Boston» الأمريكية أنّ لدى الدول الإفريقية ميزة لا توجد لدى غيرها، وهي أنها ستُشكل سوقا واسعة في المستقبل، إذ سيبلغ عدد سكانها 1.1 مليار مستهلك بحلول سنة 2020، مع رغبة كبيرة في الاستهلاك والإنفاق، خصوصا من أبناء الطبقة الوسطى التي يتراوح دخلها الشهري بين 50 دولارا و7000 دولار. ويُعتبر هذا التصنيف أكثر صرامة من معايير البنك الإفريقي للتنمية الذي يُصنّفُ كل من يتجاوز دخلُهُ اليومي دولارين في خانة الطبقة المتوسطة.

انتشار محدود

هناك مداخل متعدّدة لوضع قدم راسخة في المجال الإفريقي جنوب الصحراء، وهو أمر يحتاج إلى التكامل بين دور البعثات الدبلوماسية من جهة، ومبادرات القطاع الخاص من جهة ثانية. وبرهنت تجربة شركة «سوروبات»، التي عرض صاحبُها بعضا من نجاحاتها أمام رؤساء البعثات الدبلوماسية، على أنّ المؤسسات التونسية ومراكز الدراسات ومكاتب الاستشارات الهندسية والمالية والقانونية وسواها، يمكن أن تنافس كبريات الشركات الغربية وتتفوّق عليها. ولذا ينبغي أن تبادر الشركات الخاصّة بالمشاركة في طلبات العروض والمناقصات في البلدان الإفريقية.

كما أنّ «الخطوط التونسية» ضاعفت رحلاتها نحو العواصم الإفريقية على الرغم من الصعوبات التي تمرّ بها. ولديها حاليا خمس تمثيليات في القارّة، لكنه رقم غير كاف إذا ما أدركنا الدور المحوري للنقل في تعزيز الروابط التجارية بين تونس وبين تلك البلدان الإفريقيّة. ولا ننسى على سبيل المثال ما حققتهُ «الخطوط المغربية» على صعيد إقامة شبكة خطوط جوية تخدم استراتيجية التصدير.

في هذا السياق يُشكّل ضعف الشبكة الدبلوماسية في إفريقيا (افتُتحت سفارة بوافدوفو وستفتح سفارة في نيروبي) عقبة حقيقية أمام تعزيز حضور تونس الاقتصادي في القارة إذ لا يتجاوز عدد السّفارات التّونسيّة في البلدان الواقعة جنوب السّاحل والصّحراء ثماني سفارات. كما أنّ ضآلة الإمكانات المتاحة للدبلوماسية التونسية، تجعل حركتها مُقيدة وتأثيرها محدودا، وهو ما دفع ممثّل الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة إلى التركيز على نقطة الضعف هذه في كلمته أمام ندوة رؤساء البعثات الدبلوماسية.

ومن المداخل المهمة أيضا الانضمام إلى مجموعة «كوميسا»، التي قبلت بتونس عضوا جديدا فيها خلال دورتها الأخيرة، وهي مجموعة تتألف من 19 بلدا عضوا (480 مليون ساكن)، مع نسبة نمو تُقدَرُ بـ6 في المائة، علما أنّ مصر على سبيل المثال ضاعفت نسق التصدير أربعين مرة في أعقاب انضمامها إلى «كوميسا». وحصلت تونس أيضا على مقعد عضو مراقب في «المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا» المعروفة بـCEDEAO، وهي خطوة غير بسيطة. هذا بالإضافة إلى الإمكانات الزراعية الضخمة في القارة، والتي يمكن لتونس بخبرة مؤسساتها العمومية والخاصة في هذا القطاع، أن تُقدّم الكثير للبلدان الإفريقية وتكسب منها أيضا الكثير.

فرص جديدة

وعلى الصعيد المؤسسي، يُلاحظ أيضا أنّ هناك فرصا لتعزيز حضور تونس إفريقيًا، فيكفي إلقاء نظرة على أجندا الاتّحاد الإفريقي خلال الفترة المقبلة لندرك أهميّة تلك الفرص، ومنها الاجتماع التشاوري حول التدفّقات المالية غير الشرعية في أفريقيا، المقرّر لشهر أكتوبر المقبل، واجتماع لجنة المديرين العامين للإحصاء المقرّر لشهر نوفمبر، واجتماع ثالث حول الحوكمة الرشيدة في إفريقيا مقرّر لشهر نوفمبر، واجتماع رابع حول منطقة التبادل الحر القارية بين أواخر أوت وبداية سبتمبر، بالإضافة إلى العمل على فوز الأستاذة هاجر قلديش المرشحة لعضوية لجنة الاتحاد الإفريقي للقانون الدولي.

وسيتعيّن على تونس أيضا متابعة خطوات تركيز مقرّي الاتحاد الإفريقي للإحصاء والمنظمة الإفريقية للملكية الفكرية في تونس. والطريق إلى تركيز هاتين المنظمتين ليس هيّنا، فهناك حاليا منظّمتان متخصّصتان في الملكية الفكرية الأولى للبلدان الإفريقية الناطقة بالفرنسية ومقرّها في الكامرون، والثانية للبلدان الناطقة بالإنكليزية مقرّها في زامبيا.

ومن المواعيد السياسية المهمّة بالنسبة إلى تونس قمّة الاتحاد الإفريقي في جانفي المقبل، علما أنّ شعار السنة القادمة إفريقيا سيكون مُركّزا على مكافحة الفساد، كما ستُعقد قمة مشتركة بين الاتحاد الإفريقي والاتحاد الأوروبي في 17 نوفمبر المقبل بأبيدجان.

من هذا الاستعراض السريع للمشهد الإفريقي المُتحوّل، يتأكّد أنّ علينا ليس فقط إيلاء الأولوية لعلاقاتنا مع القارة الإفريقيّة في المرحلة المقبلة، وإنّما رُبّما إعادة اكتشاف إفريقيا..

ر.خ.

المعضلة الفلسطينية في نظر الزعيم الحبيب بورقيبة

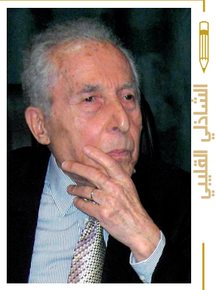

الشاذلي القليبي

إلى جانب جملة من القضايا الحضاريّة، تواجه الشعوب العربيّة، دولا ومجتمعات، تحدّيات عظيمة، في مجالات حيويّة، بسبب الطريقة التي بها تعالج دولها المشكلة الفلسطينيّة.

والمنظمة الدوليّة، التي بقرارها الظالم حدثت قضيّة فلسطين، كانت تُعلن أنّها تقصد إنصاف اليهود. لكنّها، بقرار التقسيم، تسبّبت في مأساة الشعب الفلسطيني ؛ ولم تنتبه إلى ذلك، أو هي لم تأبه له. ولم يَصدر عنها سعيٌ جادّ لإصلاح ما أفسدته. فآلت المسؤوليّة إلى المنظّمة العربيّة : لكنّها عالجت الأمر، عقودا متتالية، دون جدوى، لتمسّك الطرفين، العربي والاسرائيلي- كل بموقفه - ولغياب وسيط دُولي يجتهد، ويتكفّل بتقديم حلول صُلحيّة.

←

أمّا القادة العرب، فكان أكثرهم مُصرّين على رفض قرار التقسيم، مُتمسّكين بطريقة الحرب، «لإرجاع المياه إلى مجاريها» - باستثناء رئيس الجمهوريّة التونسيّة : فقد كان، منذ أوائل القضيّة، مُدركًا أنّها لا تُعالج إلاّ بطُرق سياسيّة، خلافا لِما انتهجته سائر الدُول العربيّة.

مجتمعاتنا في مأزق

وممّا كان يقوله الزعيم التونسي، على رؤوس الملإ - فأوقعه في مشاكل لا تنتهي - إنّ العرب أخطأوا إذ قاموا مقام الوكيل عن القضيّة، دون الشعب الفلسطيني، صاحب الحقّ المباشر، فنزعوا عن القضيّة، دُوليًّا، صبغتها الإنسانيّة، بجعلها نزاعا بين دُول متنافسة على أرض، وليس للضمير الأخلاقي فيه الدور الأوّل كما كان ينبغي. ويقول الزعيم بورقيبة إنّ العرب اختاروا طريقة الحرب، وهم لم يُمارسوا الحروب منذ قرون ؛ وجيوشهم مقتصرة على التظاهرات الاحتفاليّة، في الأعياد والمواسم وبعض المهام الداخليّة. ويقول الرئيس بورقيبة إنّ العرب اغترّوا بما كان لهم من ظاهر الكثرة، وما يبتاعون من عتاد عسكري- باهظ الثمن- دون أن تكون لهُم خبرة كافية باستعماله، فجيوشهم كانت في الواقع متخلّفة، لا تعرف من أساليب الحروب الحديثة إلا القليل الظاهر، لا يُجدي نفعًا، ويُضيف الرئيس بورقيبة أنّ العرب لم يُقيموا حسابًا لكون المنظمات الصهيونيّة المقاتلة في فلسطين متركّبة من عناصر أغلبهم شهدوا ماكان للدول الأوروبيّة من حروب، خاصّة أثناء القرن العشرين، فاكتسبوا بذلك تجارب حربيّة عالية، مكّنتهم من الانتصار، في مثل البرق، على الجيوش العربيّة مجتمعة.

ويقول الرئيس إنّ العرب لم يُدركوا ما أصبحت عليه من تطوّر المجموعات اليهوديّة، التي كانت انحشرت في شعوب أوروبا وأمريكا، منذ قرون. ولم يُقِم القادة العرب وزنا لتأثير ذلك الاندماج في توجيه الرأي العامّ بتلك الأقطار، وتكييف القرار السياسي لدى حكوماتها. وهذا ناتج عمّا كان عليه العرب من جهل بأوضاع اليهود، داخل فلسطين، وفي سائر بلاد العالم. ثمّ إنّهم امتنعوا عن متابعة شؤون الكيان الإسرائيلي، ترفّعا، وجعلوا ذلك من المحرّمات الأخلاقيّة - وكأنّهم اعتقدوا أنّ اجتناب التلفّظ باسم إسرائيل يعيذهم من أذاه. ويُؤكّد الرئيس أنّ مساهمة اليهود، في إثراء الآداب والفلسفات الغربيّة، كان لها أثر بعيد في تعبئة الرأي العامّ الدُولي لِمُناصرتهم - رغم ما كانت عليه شعوب كثيرة من خفيّ «اللاساميّة». ويتوّج كلّ هذه الاعتبارات، في نظر بورقيبة، ما كان لليهود، من أياد في تطوّر المجتمعات الغربيّة وفي اقتصاداتها، وما لهُم من دَور في قيادة إعلام يصنع الرأي العامّ داخل شعوب تعيش على إيقاع أدوات الاتّصال، وتحت تأثير الصور التلفزيّة، بمختلف أنواعها. وإحقاقا للحقّ، فالجموع اليهوديّة التي التحقت بمجتمعات أوروبّية أو أمريكيّة، ساهمت في النضالات الاجتماعية التي شهدتها تلك المجتمعات ؛ بل إنّ البعض من هؤلاء الوافدين احتلّوا الصدارة في هذا الشأن، وكانت لهُم فيه الكلمة الفصل ؛ ممّا جعل البعض منهم ركنا من أركان الفكر، وجعّل البعض أيضا وجها من وجوه الضمير الاجتماعي، وبعضهم اعتبر قدوةً للشباب ؛ وجُعلت أسماء بعضهم منارات في أماكن عموميّة مرموقة.

فمن حظّ إسرائيل أن يكون لها، في الدُول الفاعلة عالميًا، مَن يُساندها، ويَجلب لها الأنصار. وإحقاقا للواقع، أيضا، فإنّ الجماعات اليهوديّة التي التحقت بالشعوب الأوروبيّة والأمريكيّة، اجتهدت، بذكاء، لتوخّي ما يُمكّنه من الانصهار، دون حرج. واجتهدت، ببالغ الدهاء، لإطفاء مشاعر «اللاساميّة» في تلك المجتمعات، وقلبها إلى مشاعر الخجل والحياء ممّا حصل أيّام النازية، وإلى مواقف المناصرة لإسرائيل. كما أنّ اليهود الوافدين تحاشوا أن تكون مميّزاتهم العِرقيّة أو الدّينيّة ظاهرة سافرة، حتّى لا يؤذوا أهل البلاد، فيظهروا في مظهر الأجانب عن تلك الشعوب. وفي الأوساط اليهوديّة الراقية، ليس بقليل مَن ينتخبون لأبنائهم من الأسماء الرائجة في المجتمع، وأحيانا ممّا هو مرتبط بتقاليد مسيحيّة. أمّا القادة العرب - حسب الرئيس بورقيبة دائما - إذ أصرّوا، بعد الهزيمة الأولى سنة 1947، على استرجاع الأراضي الفلسطينيّة بالقوّة، سواء ما أُخذ منهم بقرار دُولي، وما احتُلّ بحرب - فقد حكموا على شعوبهم بمُواجهة حروب خاسرة، أربكت علاقاتهم مع أغلب الدُول المتقدّمة في العالم.

والرئيس بورقيبة يُؤكّد أنّ الخِطّة العربيّة، في مواجهة إسرائيل، لها انعكاس سلبي على تنمية المجتمعات العربيّة ؛ إذ تجعل أغلب مواردها مخصّصة - وسُدى- لِما تسمّيه لوازم تلك المواجهة، وخاصّة شراء أنواع السلاح الباهظة الأثمان -لتبقى مكدّسة، دون أيّ نفع منها، اللهمّ إلاّ فيما يطرأ بين الأجوار من مشاكسات. ويلاحظ بورقيبة أنّ من الفوارق العجيبة أنّ العرب لم ينتبهوا إلى أنّ لهُم، على الدُول الكُبرى، فضل تمويل صناعاتهم الحربيّة، برصد مبالغ طائلة لذلك، بينما إسرائيل هي التي تحظى بالمناصرة من قِبل تلك الدُول، وتتلقّى منها المدد المادّي، والعون العسكري الذي به هزمة العرب. ولئن كان الرأي العام العربي، في أغلبه، مدفوعا، بتأثير الدعايات المُضادّة، إلى رفض النظريّة البورقيبيّة، فإنّ إسرائيل، من جهتها، كانت منزعجة من آراء بورقيبة ؛ ذلك أنّه، لو انقادت الدُول العربيّة للنظريّة البورقيبيّة، لكانت قُطعَت، عن الدولة اليهوديّة، الطريق إلى ما كانت ترمي إليه من أهداف بعيدة، غير معلنة، لم تنكشف إلاّ منذ عقود.

تفاصيل النظريّة البورقيبيّة

والنظريّة البورقيبيّة التي صدع بها صاحبها، خاصّة في أوائل الستّينات، تقول : لئن كان قرار التقسيم المُعلن سنة 1947، ظالما في حقّ الفلسطينيّين، لأنّه أعطى من أراضيهم مَن ليسوا إذّاك من أهلها، فإنّ الأمر سيؤول إلى أسوإ من التقسيم، إن أصرّت الدُول العربيّة على طريقة الحرب. فالدُول العربيّة - السّبْع المستقلّة إذّاك - اجتمعت كلمتها على مقاومة «الكيان الصهيوني» بوسائل حربيّة، رغم أنّها لم تكن لها القدرات اللازمة. أمّا اليهود، فإخوانهم في أوروبا، الذين لهم مهارات سياسيّة وخبرات عسكريّة عالية، هم الذين كانوا يقودون العمليات العسكريّة، ثمّ هُم الماسكون بمقاليد الحكومة الصهيونيّة، لا اليهود الشرقيّون، المعروفون، لدى العرب، لمحاكاتهم في التخلّف وقلّة الباع. ثمّ إنّ المقاتلين الصهاينة كانوا يتلقّون، من الخارج، أنواع المساعدات ؛ وتلتحق بهم قيادات عسكريّة يهوديّة، من العديد من الدُول، وخاصّة منها دُول شيوعيّة كانت تعدّها الحكومات العربيّة صديقة لها.

أمّا في مستوى السياسة الدُوليّة، فلم يكن للعرب مَن يُساندهم، إذ قرار التقسيم اتّخذ بموافقة الدُول الغربيّة، وكذلك بمصادقة الدُول الشيوعيّة. وأوّل دولة أعلنت موافقتها الاتّحاد السوفياتي - الذي تعامل معه العرب وكأنّه من أكبر أنصارهم - لكن لم يُغيّروا من مواقفه السياسيّة أيّ شيء جوهري. ولئن كانت أبواق الدبلوماسيّة السوفياتيّة تعطي العرب «من طرف اللسان حلاوة»، فإنّ الحكومات الشيوعيّة، عامّة، لم تكن تُمدّ الجيوش العربيّة بوسائل هجوميّة، كفيلة - نظريًا - بأن تُرجّح كفّتَهم في الحرب. فالعرب إذن كانوا يصرّون على حرب لا قِبَل لهم بها؛ وفي الآن نفسه، لم يكُن لهم، في المحافل الدُوليّة، نصير. ويُؤكّد الرئيس بورقيبة أنّ اليهود ما كان يُرضيهم قرار التقسيم. ولكن تريّثوا في رفضه، على أمل أن يكفيَهم العرب المؤونة ؛ «وتنفّسوا الصُعداء»، لمّا بادر العرب إلى إعلان رفضهم. فكفَوْا بذلك الصهاينة مغبّة الخِصام مع أصدقائهم في الغرب، وفي البلاد الشيوعيّة. لكن الحكومة الإسرائيليّة اغتنمت إعلان الحرب من طرف العرب، فوسّعت من رُقعة الأرض التي أسندها القرار الدُولي إلى اليهود، وادّعت عندئذ أنّها تدافع عن الشرعيّة الدُوليّة، متمثّلةً في قيام دولة إسرائيل، وأنّ عمليّات التوسّع إنّما تمّت في سياق ضمان أمنها.

وبذلك - وما حدث منذئذ يؤكّده - فإنّ الخطة الصهيونيّة كانت تهدف إلى التظاهر بالتعامل إيجابيا مع الشرعيّة الدُوليّة ؛ وكانت، في الحقيقة، تعمد إلى توسيع رقعة الدولة اليهوديّة، سعيا إلى تنفيذ المقاصد الصهيونيّة، كاملة : ليتمّ، بذلك، للصهاينة، السّند الدبلوماسي في المنتظم الدُولي، والنصر المؤزّر على أرض القتال، فيقرّبهم أكثر فأكثر إلى تحقيق خطّتهم؛ مع بقاء العرب، في تلك الأثناء معزولين سياسيًّا عن الرأي العام الدُولي، مُكبّلين بقيود تخلّفهم، لا قدرة لهم على الانتصار، في ميادين القتال. فالنظريّة البورقيبيّة إنّما رفضت الخطّة العربيّة غيرةً على القضيّة، لا خيانة لها وللحقوق العربيّة، كما قِيل ؛ وكانت تمثّل ذودًا عن الحقّ العربي، بالسلاح الوحيد الذي يُمكن للعرب الالتجاء إليه : وهو التخطيط السياسي ؛ لا سيّما أنّ صاحبها تنبّأ بأنّ الوضع العربي متّجه إلى أن ينتقل من سيّء إلى أسوإ، ما تمسّك القادة العرب بطريقتهم الفاشلة. والرئيس بورقيبة أعلن عن رأيه، في أوائل سنة 1965، إذن قبل حرب 1967 ؛ وكانت إذّاك الضفّة والقطاع والقدس الشرقيّة، في أيدي العرب. أمّا، بعد «حرب الأيّام الستّة» - كما سمّاها الصهاينة - والتي مكّنت إسرائيل من تحقيق حُلمها، أو ما يُقارب، فالأمر اختلف تماما. وللتاريخ أنّ بورقيبة، لمّا كان لاجئا بالقاهرة، قبل الاستقلال، سُئل عن رأيه في القضيّة الفلسطينيّة : فأجاب بما يُنبئ بما سيكون موقفَه، بعد تسلّمه الحكم : وهو قبول قرار التقسيم، في حدوده الدُوليّة.

استفادة عربيّة -متأخّرة- من الفكر البورقيبي

وطرأت أحداث جعلت جامعة الدُول العربيّة تنتقل إلى تونس ؛ وسُمّي على أمانتها وزير تونسي. وتساءل الكثيرون هل تكون فرصة لجعل آراء بورقيبة تصل إلى مراجع القرار العربي. وذلك ما وقع فعلا، ولكن، والحقّ يُقال، من خلال التفاهم الحميم الذي كان يجمع بين الملك الحسن الثاني والأمير فهد بن عبدالعزيز - أمبرا، إذّاك، لكن صاحب النفوذ الحقيقي- وتمّ ذلك برعاية، لا شكّ، من الأمين العام، الذي كان، مدّة إشرافه على الإعلام في تونس، من المدافعين عن النظريّة البورقيبيّة. والصداقة التي كانت بين الحكومة المغربيّة والحكومة السعوديّة، ومشاعر الإعجاب التي كان يكنّها المسؤولون السعوديّون للعاهل المغربي، هذه وتلك، هي التي جعلت الأمير فهد يتقدّم إلى قمّة فاس، سنة 1981، بمشروع قرار يقضي باعتراف الدُول العربيّة بإسرائيل رسميًا، مقابل انسحابها من الأراضي المحتلّة سنة 1967، وقبولها بقيام دولة فلسطينيّةمستقلّة.

وبعد صعوبات كثيرة، تمّت المصادقة على المشروع السعودي، في قمّة فاس الثانية، سنة 1982. لكن إسرائيل لم تعبّر علانيّة عن موقفها، وحضّت أصدقاءها←

على عدم التعامل مع هذه الخطّة. وشهادةً للحقّ، فإنّ الرئيس بورقيبة لم يتدخّل في شؤون الأمانة العامّة، مدّة وجودها بالعاصمة التونسيّة. وكأنّه أراد أن يتجنّب ما كانت تُتّهم به حكومات القاهرة من تأثير على شؤون الجامعة العربيّة – وهو أيضا، لا شكّ، أعلم بمحدوديّة قُدُرات الدولة التونسيّة في هذا الصدد؛ وهو، على كلّ، لم يشأ أن يُسبّب للأمانة العامّة تعقيدات لا تخدم سمعة تونس، ولا تفيد الأمين العام التونسي –وهو كاتب هذه السطور– في اضطلاعه بمسؤولياته العربيّة.

المنعرج العربي

كان قرار قمّة فاس منعرجا في تطوير الحساسيّة العربيّة، إزاء إسرائيل. وكان يُمكن أن يحقّق هذا التحوّل نتائج، لو قامت الدُّول الغربيّة والشيوعيّة – وخاصّة الاتّحاد السوفياتي والولايات المتّحدة –بالدور الصحيح، في تهيئة الأوضاع الإقليميّة من أجل إحداث تقارب إسرائيلي – فلسطيني، يُمكّن من إقامة دولة فلسطينيّة ترعاها الأمم المتّحدة، ومن استتباب الأمن في المنطقة، بصورة دائمة. فقد شُكّل وفد وزاري – برئاسة الملك الحسن الثاني، تارة، وتارات برئاسة الملك الحسين بن طلال – لِزيارة كُبريات العواصم العالميّة، وإعلامهم رسميًا بالقرار، وطلب معونتهم على التنفيذ. ولقي الوفد العربي إلى واشنطن، برئاسة الملك الحسن الثاني، ترحابا رسميًّا ؛ لكن الموقف الأمريكي بقي غائما: فالرئيس ريغن اقتصر، عند اجتماعه بالوفد، على تلاوة مذكرتين : تلا الأولى في مستهلّ الاجتماع، وتلا الثانية في الختام. وما عدا المذكّرتين – أعدهما، لا شكّ، مستشارو الرئاسة، قبل وصول الوفد العربي – لم يزد الرئيس كلمة تفيد مساندته للمشروع. ونأسف إن لم تدرك الحكومة الأمريكيّة – أو أنّ أوضاعها الداخليّة منعتها – أنّ تطوّر الموقف العربي كان فرصة تاريخيّة، لا تعوّض لإسرائيل نفسها، وللعرب، وللسلام عامّة. ثمّ إنّ ذات المقترح السعودي، تقريبا، أعيد، بعد مدّة، تقديمه سنة 2002 إلى قمّة بيروت، باسم الملك عبدالله ؛ لكن لم يكن له أيّ مفعول على أرض الواقع. ذلك أنّ «الكيان الصهيوني» صار أشدّ تعنّتا، لا يأتمر إلاّ بما يظنّه المصلحة الإسرائيليّة : وهو السعي إلى الاستحواذ على كامل الأراضي الفلسطينيّة، لأنّ الصهاينة مصرّون على اعتبار كلّ ذلك أرض اليهود التاريخيّة. ورئيس الحكومة الوحيد الذي همّ بالخروج عن هذا المسار، تمّ اغتياله ؛ واعتُبر قاتله من الأبطال.

وبقي الوضع في المنطقة أعرج : إسرائيل، رغم وسائل قوّتها، لا ترعوي ؛ والجانب الفلسطيني في تمزّق، والمجموعة الدُّوليّة رهينة العجز الأمريكي، والآراء العربيّة في اختلاف ؛ والمصالح الدُّوليّة في تنافر. لكن تبقى القضيّة الفلسطينيّة، لدى العرب، في تمزّق : بين الواجب الأخلاقي، والداعي الوطني، والوازع الحضاري، من جهة، وبين الانزعاج المتزايد من مُعطّلات النموّ ومُحبطات التحديث والنهوض، من جهة أخرى. وتبقى القضيّة الفلسطينيّة، أثناء كلّ ذلك، هي الضحيّة الكبرى.

التقاعس الدُّولي

لقد قيل إنّ خلاصة القضيّة الفلسطينيّة سلسلة من الفرص الضائعة. فلقد كاد جمال عبد الناصر يقبل – في محادثة ثنائيّة – بمنطق الواقع، عند اجتماعه بالرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، في القاهرة، سنة 1965 ؛ ثمّ، خُتمت هذه الزيارة، بتوتّر جديد في العلاقات المصريّة التونسيّة، لِرفض بورقيبة ما عبّر عنه بـ«لخضوع» للقرار المصري، بقطع العلاقة مع ألمانيا الفيدراليّة – دُون سابق استشارته. وأمّا اللحمة التي كانت تجمع بين المملكة المغربيّة والمملكة العربيّة السعوديّة، فلم تقدر على إقناع الولايات المتّحدة بضرورة إنضاج القرار الإسرائيلي لفائدة السلام. فاللوبي الصهيوني ظهر أقوى، داخل المجتمع الأمريكي من المصالح الأمريكيّة لدى دُول عربيّة.

والرئيس الأمريكي باراك أوباما، بعد خطابه المشهود في جامعة القاهرة، لم يقدر على تنفيذ أيّ خطوة من الخطى التي أعلن أنّها ضروريّة للسلام. أمّا الشقّ الشيوعي من الملإ الدُّولي، فأغلب العرب يطلبون ودّه، مع التمسّك بالنظام الليبرالي والانتماء سياسيًا إلى المعسكر الغربي. فلا شيء من كلّ ذلك كان يُجدي نفعًا. وغير مجد، في اجتهاد الرئيس بورقيبة واعتقاده، أن يجمع العرب بين الشيء وضدّه، وهُم يحسبونه من البراعة والدهاء. وبقيت «ديار لقمان» على أحوالها: من تفاقم العذابات الفلسطينيّة، والإصرار الإسرائيلي والعجز الأمريكي، والتشتّت العربي. ولم يتنبّأ أحد في واشنطن – رغم احتضانها لأهمّ مراكز الدراسات الاستشرافيّة – أنّ استمرار تعفّن الوضع العربي سوف يُنشىء التربة الحاضنة لِما هو أمرّ وأدهى من الصِراع العربي الإسرائيلي ولا قِبَل للعالم أجمع بالسيطرة عليه في آماد منظورة : أعني الفتنة الإرهابيّة، التي تُهدّد السلام والإنماء، في أغلب دُول المنطقة. ألا يُمكن أن نقول أيضا إنّ اضطرابات الأمن الدُّولي، هي أيضا قصّة فُرص ضائعة، بسبب تقاعس ذوي النفوذ القيادي في المستوى الدُّولي ؟

لكن، لئن كانت آفة الإرهاب – المتولدة خاصّة عن المظلمة الفلسطينيّة – منتشرة في كثير من الأقطار، فإنّه من دهاء إسرائيل أن استطاعت إيجاد توافقات ثابتة مع ما في مجتمعها من تكتّلات مُتعصّبة : فالإرهاب اليهودي لا يُهدّد مصالح المجتمع الإسرائيلي، إذ منها يستمدّ دوافع الغلوّ؛ والحكومة الإسرائيليّة لا تعطّل مبادرات إرهابيّة، مهما كانت، ما دامت مُتّجهة إلى الخارج. أمّا الإرهاب في الدُّول العربيّة، فمُتصدّ لِمصالح حيويّة في مجتمعاتها، لِيزيدها خصاصة وارتباكًا، واحتياجًا إلى معونات خارجيّة، قد تطول السيادة، وقد تربك مناخ التعاون البَيْني، فتزيد شعوبنا تمزّقا.

أليس، في تمادي هذه الأوضاع العربيّة المأساويّة ما قد يجعل إسرائيل تقول : «ذاك ما كُنّا نبغي»؟

كيف يُمكن أن نُخرج القضيّة الفلسطينيّة من المأزق الذي تردّت فيه؟

لمّا أصبح الإرهاب يُناوش معًا المجموعة الأوروبيّة والولايات المتّحدة، فالحلّ الأوفق اتّفاقهما– وبالتعاون مع العُقلاء من الصهاينة– على تطويع إسرائيل لتتخلّى عمّا في النظريّة الصهيونيّة من غلوّ وإسراف، والركون إلى سياسة واقعيّة، كفيلة بتوطيد الأمن للجميع. لكن الأمر يقتضي ثورة في العقليات، لدى المجموعات الصهيونيّة، وخاصّة في أمريكا وداخل المجتمع الإسرائيلي، للاكتفاء بما يُيسّر لليهود النفاذ إلى تراثهم التاريخي، دون طموح إلى السيطرة على أجوارهم.

وإنّما ذلك هو الذي من شأنه أن ينشر، داخل المجتمعات العربيّة والإسلاميّة، «ثورة ثقافيّة» تجعل ممكنًا التعايش مع إسرائيل – بصيغ يُتفاوض لِضبطها، عند قِيام الوضع الجديد.

ش.ق

اجتمـــاع «المَنَـــامَة» وتكريـــس «الأزمـــة المُستـــدامَـــة»...

محمد إبراهيم الحصايري

مرّة أخرى، لا أجد مهرَبًا من الكتابة عن الأزمة الناشبة بين الرّباعي الخليجي المصري وبين دولة قطر... فبعد أن كان من المؤمّل أن تتدرّج هذه الأزمة نحو شيء من الانفراج وربّما بداية تسوية ما، لا سيّما في ظل تواصل الوساطة الكويتية، وكثافة التحرّكات التي قامت بها العديد من الأطراف الإقليمية والدولية، جاء اجتماع وزراء خارجية الدول الأربع في العاصمة البحرينية «المنامة» يوم الأحد 30 جويلية 2017 ليعيدها إلى النقطة الصفر... بل إنه، بالبيان الصادر عنه وبالتصريحات التي أدلى بها الوزراء في نهاية أعماله، قد زاد الطين بلّة...

بالرغم من أنّ الولايات المتحدة الأمريكية حرصت على التأكيد بكلّ وضوح، قُبَيْلَ الاجتماع، على لسان المتحدّثة باسم وزارة خارجيتها «أنّ على المملكة العربية السعودية أن تدرك أنها لا يمكن أن تفوز في عدائها لقطر»، فإنّ الوزراء المجتمعين، بعد أيام قليلة من إصدار قائمة ثانية ضمّت أسماء تسعة إرهابيين وتسع مؤسسات ذات علاقة بقطر تدعم التنظيمات الإرهابية في عدد من الدول العربية، لم يَتَوَانَوْا عن التأكيد على أنه لا مجال للتحاور أو التفاوض مع الدوحة إلا إذا استجابت للمطالب الثلاثة عشر التي كانت دولهم وجهتها إليها بُعَيْدَ إعلان القطيعة والحصار، وإلا إذا تقيّدت بالمبادئ الستّة التي تمخّض عنها اجتماع القاهرة يوم الأربعاء 5 جويلية 2017.

ويُستخلَصُ ممّا تقدّم أنّ الرباعي الخليجي المصري مُصِرٌّ إصرارًا على التمسّك بموقفه، وعدم التزحزح عنه قيد أنملة، بل إنه يتّجه نحو التمادي في تصعيده حيث أنه شدّد، في إطار الردّ على الانتقادات الموجَّهة إليه حتى من بعض أصدقائه وحلفائه، على أنّ جميع الإجراءات التي قام باتخاذها ضدّ قطر هي «من أعمال السيادة وهي تتوافق مع القانون الدولي»، وعلى أنّ الدوحة هي المسؤولة الوحيدة عن فرضها عليها، وعن الأضرار التي لحقت بالشعب القطري من جرائها وذلك بسبب «السياسات العدوانية التي تمارسها فيما يتعلق بدعم الإرهاب وتمويله»...

ومن دلائل هذا التصعيد أيضا، أنّ البيان الصّادر عن الاجتماع لم يَكْتَفِ بالتأكيد على التُّهم التي كانت الدول الأربع وجّهتها إلى قطر، وهي دعم الإرهاب وتمويله، وتهيئة الملاذ الآمن للمطلوبين قضائيا لدى دولهم، وللمتورّطين في الإرهاب وتمويله، ونشر خطاب الكراهية والتحريض والتدخّل في شؤون دُوَل المنطقة... بل زاد عليها تهمة أخرى هي «تسييس» الحجّ بسبب الشكوى التي تقدّمت بها اللجنة الوطنية القطريّة لحقوق الانسان إلى مُقَرِّرِ الأمم المتحدة الخاصّ المعني بحرية الدين والعقيدة حول ما سمّته العراقيل والصعوبات التي وضعتها السلطات السعودية أمام قيام المواطنين القطريين بأداء مناسكهم...

ثم إنّ هذا التصعيد يظهر فيما لمّح إليه وزير خارجية الإمارات العربية المتحدة الذي قال «إنّ الدول الأربع يمكن أن تتّخذ مجموعة من الخطوات الجديدة ضد الدّوحة»، ولئن لم يوضّح ماهية هذه الخطوات ولا توقيت اتّخاذها، فإنّ نظيره المصري ذكر أنّ تنفيذ مطالب الرباعي الخليجي المصري «يقتضي وضع آليات ينبغي أن تكون كاملة وأن تشارك في وضعها ومراقبة تنفيذها الدول الأربع، وربما دول أخرى فاعلة، حتى نضمن أن يكون تنفيذ كل ما يحقق مصالح دول المنطقة والعالم أجمع تنفيذا كاملا وشفّافا».

وواضح من هذه التصريحات، أنّ «دول القطيعة والحصار» بصدد إعداد العدّة فيما بينها، ومع بعض الأطراف الإقليمية والدولية لاتخاذ الخطوات الجديدة الموعودة، وربّما تكون أرادت، بمُخْرَجَات اجتماع «المنامة»، تهيئة الرأي العام في المنطقة والعالم لتقبّل هذه الخطوات وحتى الانخراط معها في تطبيقها... وهذا ما يُسْتَشَفُّ من الأدبيات التي حاول الاجتماع الترويج لها حين شدّد على أنّ مقاطعة الدول الأربع لقطر ليست من مصلحتها وحدها، وإنّما هي من مصلحة كافة دول المنطقة، وسائر دول العالم بأسره...

وفي هذا الصدد ينبغي التوقّف عند حديث العاهل البحريني خلال استقباله لوزراء الخارجية حيث أكّد على ضرورة التضامن بين جميع الدول لمواجهة الإرهاب، وطالب بتجفيف منابع تمويله، وشدّد على ضرورة مواصلة الجهود والتنسيق على المستويين الإقليمي والعالمي لدحره واجتثاثه...

وممّا جاء على لسانه خاصة، أنّ بلاده «تقف صفاً واحداً مع شقيقاتها في كل ما تتّخذه من مواقف مشتركة وإجراءات لمواجهة التحديات والمخاطر» و«أنّ بقاء الدول العربية قوية ومتماسكة مرهون بتضامنها وتكاتفها وتآزرها في مواجهة كافة التحدّيات، فالعمل العربي المشترك هو القاعدة التي نستند عليها، والخيار الحتمي في هذه المرحلة الدقيقة التي نمرّ بها، والتي تتطلب تفعيل التعاون فيما بيننا وتوحيد ورصّ صفوفنا لحماية مصالحنا العليا ودرء كافة مخططات تفريق وحدتنا وتشتيت شملنا وتقويض أمننا القومي».

وبعيدا عن أي إحساس بالتناقض بين ما تقوله الدول الأربع وما تفعله، وفي تجاهل تامّ لرحى الحرب التي ما تزال تطحن الشعب اليمني منذ أكثر من سنتين، يضيف البيان الصادر عن الاجتماع أنّ هذه الدول حريصة على دعم الأمن والسلم في المنطقة ومعالجة كافة مشكلاتها وحمايتها من سياسات دعم وتمويل الجماعات المتطرفة وإيواء الإرهابيين التي تسبّبت في أزمات إنسانية خطيرة، حيث تمّ تهجير مئات الآلاف من أبناء شعوبها من بيوتهم ليواجهوا ظروفا صعبة ومحنا قاسية في مختلف أنحاء العالم، ويجب العمل على إعادتهم إلى ديارهم آمنين وتوفير الاستقرار لهم. أمّا على الصعيد الدولي فقد شدّد البيان على أنّ الوقت قد حان ليتحمّل المجتمع الدولي مسؤوليته لوضع نهاية لدعم التطرّف والإرهاب وأنه لم يعد مكان لأي كيان أو جهة متورّطة في ممارسة أو دعم أو تمويل التطرف والإرهاب في المجتمع الدولي أو كشريك في جهود التسوية السلمية للأزمات السياسية في المنطقة.

وانطلاقا من كل ما تقدم فإنّ الخلاصة هي أنّ الدول الأربع تريد أن تستديم الأزمة أي أن تجعلها «أزمة مستدامة» خدمة، فيما أرى، لهدفين اثنين هما: أولا تسخيرها لتحقيق أهداف «الأجندة الخفية» التي جعلتها تفتعلها وتباغت بها المنطقة والعالم في هذا التوقيت بالذات، وثانيًا الاستفادة منها في مواجهة الاستحقاقات العسيرة التي ستداهمها حتما إن عاجلا أو آجلا، والتي بدأ بعضها يطلّ برأسه من الأفق الغائم البعيد...

وفي رأيي، فإنه ليس من المستبعد أن تكون محاولة الدول الأربع إلصاق تهمة الإرهاب بدولة قطر وحدها، هي في ذات الوقت محاولة لنفي هذه التهمة عن نفسها... بل هي أكثر من ذلك محاولة لتقمّص دور البطولة في مكافحة هذه الآفة، لا دفاعا عن أمنها فحسب، وإنّما دفاعا عن أمن المنطقة والعالم أجمع...

وحين نلاحظ أنّ تفعيل قانون «جاستا» الأمريكي ضدّ المملكة العربية السعودية يجري على قدم وساق رغم ما بذلته الرياض خلال القمة الأمريكية العربية الإسلامية من جهد ومال لإرضاء الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، فإنّنا نفهم مدى حاجتها للظهور بهذا المظهر...

على أنّ المؤسف حقّا في هذا الموقف المتصلّب المُشْبَع بالكثير من العناد والمكابرة أنّ أصحابه يغفلون أو يتغافلون عن أنّ الأزمة كلّما طالت كلّما شهدت المزيد من التشعّب والتعقّد خاصة وأنّ كلا الطرفين سيواصلان، على نحو ما نراه الآن، التفنّن في فضح بعضهما البعض أمام المجتمع الدولي، وسيعمل كل منهما على إلصاق تهمة الإرهاب بالآخر، وهو ما سيشكّل حجّة على كليهما يمكن أن تستخدم في معاقبتهما ومحاسبتهما عندما تأتي ساعة العقاب والحساب، وهي آتية لا ريب فيها... وفي الأثناء سيظل الطرفان، كما هو شأنهما الآن، عرضة للمزيد من الابتزاز وسرقة المقدّرات... وليست صفقات السلاح التي يتنافسان على إبرامها بمليارات الدولارات مع الدول الكبرى والفاعلة إلاّ دليلا على حالة غريبة من غيبوبة الوعي التي لا ندري كيف ولا متى سَيَسْتَفِيقَان منها.

م.ا.ح.

برج الضيافة بصفاقس
لمن يبحث عن الطابع المميّز

ارتقى نزل برج الضّيافة بصفاقس وهو من فئة 5 نجوم إلى ترتيبه ضمن مجموعة «النّزل ذات الطابع المميّز» Hôtel de Charme من قبل وزارة السياحة إقرارا بخصائصه الفائقة وتتويجا لمجهود تطويري مكثّف. وتشترط الوزارة لمنح هذا التّرتيب العالي، المحافظة على المقوّمات المعمارية والتاريخية العريقة للبناية وإسداء خدمات مشخصة تخضع لقواعد التّصرف الفندقي المحدّدة وعدم تجاوز طاقة الإيواء 50 سريرا وذلك وفق القرار الوزاري المؤرّخ في 29 جويلية 2013.

كلّ هذه المتطلّبات وأكثر تتوفّر بامتياز في برج الضيافة الذي يقع على بعد 10 دقائق فقط من وسط المدينة والمطار في نفس الوقت وامتزجت هندسته المعمارية بالطّابع العربي الأندلسي وازدانت فضاءاته بتناغم المرمر مع النّقوش فيما أثرته قطع الأثاث الأصيلة والتّحف بجماليّة رائعة، وتبقى كلّ أرجائه على اختلافها، من مقهى ومطاعم وقاعات اجتماعات وغرف إيواء، في أبهى مظاهر الضّيافة. وبقدر ما يشتهر برج الضّيافة بحسن القبول وكرم الوفادة، فإنّ مطاعمه تقدّم أرقى الأكلات من اختصاصات صفاقسية أصيلة وأطباق إيطالية أوروبية وغيرها،يحرص على إعدادها أمهر الطّهاة. وتوفّر غرف برج الضّيافة الفسيحة الإقامة المريحة للأفراد بكلّ مرافق الرفاهة والخدمات، فضلا عن 60 شبكة تلفزيونية بستة لغات مختلفة والترابط بالانترنيت.

السرّ في برج الضيافة هو الحرص على أدقّ التّفاصيل والتّفاني في خدمة الزّائر وهو ما يثابر عليه كلّ العاملين في النزل، من الاستقبال إلى الإدارة العامّة، وفق معايير دولية حصلت على شهادة إثبات في الجودة من صنف ISO 9001 وISO 22000 وتكمن دقة التفاصيل حتّى في تخصيص عون يتولّى ركن سيّارة الحريف بمأوى السيارات وأيضا مضيّفة تعتني باستقبال الحريف إلى حدّ إيصاله باب غرفته حيث وضعت على ذمته تشكيلة من الحلويّات الصفاقسيّة وسلّة فواكه طازجة وقارورة ماء معدني وكذلك نوعية موادّ عالية الجودة للتجميل والاستحمام، إلى جانب العديد من الخدمات المتميّزة الأخرى.

ومن المهمّ الإشارة إلى أنظمة السّلامة والحراسة التي أرساها النزل مما جعله الأكثر أمنا في الجهة، الشيء الذي يشجّع، فضلا عن الخدمات الراقية المسدات من قبل النزل، أكبر المؤسسات العالمية وكبرى شركات النفط على اختياره لإقامة أفرادها. للسياحة وللأعمال يبقى برج الضيافة، خاصّة بعد ارتقائه إلى مجموعة النزل ذات الطابع المميّز، الوجهة المثلى لكلّ من يزور صفاقس إذ ينعم بطيب الإقامة في فندق يجمع بين التراث المعماري الأصيل ورفاهة الغرف، ومرافق قاعات الاجتماعات وألذّ الأطعمة والأكلات.

برج الضيافة نزل ذو طابع مميز
طريق سكّرة كلم 3 - 3052 صفاقس
الهاتف: 777 677 74 216+
الفاكس: 777 676 74 216+
sfax@hotelborjdhiafa.com

حول تنمية الثقافة الوطنية

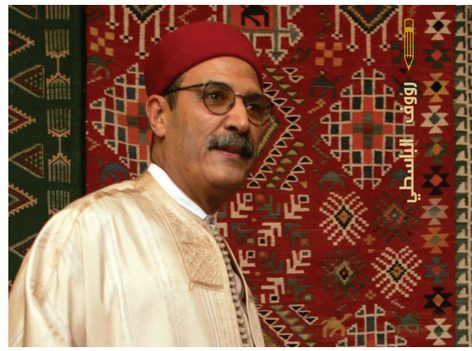

قد يتساءل البعض عن أسباب نشر هذا المقال الآن وتونس تعيش أزمة اقتصاديّة واجتماعيّة حادة وتجهد في محاربة الإرهاب ومحاصرة الفساد.والحقيقة أنه قد حفزتني على كتابة هذا المقال عوامل عدّة:

أوّلها وأهمها اقتناع ترسّخ لديّ بأن الأزمة الحادة والمتفاقمة التي يعيشها وطننا منذ ستة أعوام هي أزمة أخلاقيّة بالأساس.فكل ما يجري اليوم في الساحة السياسية وفي العديد من الفضاءات الاجتماعيّة وفي المشهد الإعلامي يؤكد طبيعة هذه الأزمة وعمقها. ولا شك أن بعض الممارسات التي انحرفت بجهود التنميّة عن مساراتها السليمة خلال العشريّة الأولى من هذا القرن قد تسببت في اهتزاز منظومة القيم التي استند منوال التنمية إليها وقام عليها بناء مجتمعي مثلت الطبقة الوسطى المتعلمة والمستنيرة فيه قاعدة واسعة منها يستمد استقراره وبها يحقق ديمومته واستمراره . بل إن هذه الممارسات قد جعلت بعض عناصر المنظومة تتهاوى في أذهان الناس وفي ضميرهم الجمعي. وإني اعتقد أنّ اهتزاز منظومة القيم هذا قد كان من أهم العوامل التي جعلت المجتمع التونسي يتداعى بكل فئاته لهبّة الانتفاضة الشبابيّة في الشوارع. كما أنني أعتقد أن لا مخرج من أزمتنا السياسيّة و الاقتصادية والاجتماعية الخانقة إلا بثورة ثقافيّة هادئة وعميقة تمكّن من إبداع منظومة قيم توائم بين المستأنف والمستحدث وتستجيب لمقتضيات الحاضر والقادم.←

أمّا الحافز الثاني الذي شجّعني على كتابة هذا المقال فهو حراك بدأنا نشهده وحديث سمعناه يتنامى حينا ويهفت حينا آخر في معهد الدراسات الاستراتيجية وفي الهياكل الحكوميّة التي تبدو كلها مهتمّة بوضع استراتيجية لتنميّة الثقافة الوطنيّة رغم غياب الثقافة عن وثيقة قرطاج وبعد أن تجاهلت حكومة السيد الحبيب الصيد مقولة التنميّة الثقافيّة في أدبيّاتها و ظلت تتحدث عن الثقافة «المثقفة» كعنصر مهذّب للذوق ومكمّل للتنمية الاقتصاديّة ومساند في محاربة الإرهاب. لذا رأيت من المفيد اليوم التذكير بأن حركة «نداء تونس» كانت قد وضعت، عندما كان للنداء صدى في نفوس البعض منا وعندما كان في الحركة سعي صادق إلى إنتاج برامج تؤلف بين مكوّنات متنوّعة المشارب في صلبها وتجمع التونسيين حولها، فيما وضعت مشروع خطة لتنمية الثقافة الوطنيّة ووعدت بأن يكون هذا المشروع ورقة عمل أساسيّة لاستشارة وطنيّة موسّعة حول الثقافة تلي الانتخابات. ولئن كان المشروع نتاج تقييم لمسيرة التنمية الثقافية خلال خمسة عقود، كما كان نتاج جهد استشراف للمقبل وحصيلة استشارة لمختلف الأطراف العاملة في قطاع الثقافة أو المهتمّة به اهتمام المبدع أو الباحث والمتابع، فقد حرصنا على أن تظل الخطة مشروعا قابلا للإثراء وللتعديل في نطاق الاستشارة الوطنية الموسّعة.

ومن أهمّ ما يميّز المشروع في رأيي منطلقات الخطة المقترحة ومرتكزاتها الأساسيّة. من ذلك اعتبارها،في الأسّ، الثقافة محرّكا أساسيا من محرّكات التنميّة المستدامة في مشروعنا الحضاري؛ ذلك أنّ طبيعة المرحلة وما أفرزته العولمة من تحديّات والثورة الرقميّة من رهانات وانتفاضة الشباب من طموحات قد زادت في خطورة الدور الذي يمكن أن يضطلع به الفعل الثقافي في كل تمشّ جاد يستهدف تحقيق التنمية البشريّة وتطوير نسيج المجتمع المدني نوعيا وإرساء قواعد مجتمع ديمقراطي متوازن معتزّ بجذوره ومتحفّز للانخراط في مسار الحداثة يستمدّ قوّته من تنوّع مكوّناته ومن قدرته على استيعاب التنوّع في صلبه يفسح في رحابه المجال للذكاء والإبداع وتحفظ فيه الخصوصيّة دون انغلاق وتتطوّر فيه الهويّة وفق حركة الحياة دون انبتات أو تنكّر للذاكرة ودون انحباس في تقديس الماضي. ومنطلقات الخطة القول بأن الثقافة تحتلّ اليوم حيّزا غير مسبوق في مجالات التخطيط الاستراتيجي الدولي وبأن للدبلوماسيّة الثقافية دورا خطيرا في إشاعة قيم الحوار والتواصل بين الحضارات والأديان. ومن منطلقات الخطة القول أيضا بضرورة تحقيق ديمقراطية الثقافة بتعميق اللامركزية وتوسيع حيّز المشاركة والقول كذلك بأهميّة ضمان حريّة الإبداع والمبدعين. ومن منطلقاتها القول ،أخيرا وليس آخرا، بضرورة الإفادة من مستحدثات الثورة الرقميّة وتطوير الصناعات الثقافية وبالخصوص صناعة المحتوى التي يمكن أن تسهم إسهاما مهمّا في تقليص نسبة البطالة بين حاملي الشهادات العليا.

ذلك أن النهضة الثقافية المنشودة هي تحوّل حضاري عميق وليست عمليّة «ترقيع» لواقع وهي تستند إلى موقف من سرورة الحياة وتطلّع معرفي ونمط سلوكي وتتطلب تبعا لذلك رؤية نقديّة للواقع بمستوياته المحليّة والوطنيّة والإقليميّة والعالميّة.وهي بالخصوص نتاج فعل إبداعي ذاتي وجماعي في آن. لذا يحسن عدم النظر إليها نظرة تجزيئيّة ومعالجة المنظومة بنظرة شاملة للشأن الثقافي بأنماطه الثلاثة: الثقافة العالمة والثقافة الجماهيريّة والثقافة الشعبية (وفق ما جاء في الخطة الشاملة المحدثة للثقافة العربيّة). بناء على الاعتبارات التي أسلفنا ارتئي أن تتضمن استراتيجية تنميّة الثقافة الوطنيّة المحاور الأساسية التنفيذيّة التالية:

المحور الأول هو تطوير منظومة العمل الثقافي بما يحقق التحوّل العميق والشامل من اللامحوريّة إلى اللامركزيّة الثقافيّة وبما يرسّخ ثقافة المشاركة وبما يوسّع قاعدة الإسهام في التخطيط للفعل الثقافي وفي إنجازه وفي الانتفاع به وذلك بـ:

- جعل اللجان الثقافيّة الجهويّة والمحليّة منتخبة من قبل النسيج الجمعيّاتي والمؤسسات الثقافيّة ←

شمس FM، وين إنت، وين أحنا

www.shemsfm.net

وتوطيد علاقتها بكل الخلايا الناشطة حتى تكون هياكل إصغاء وتخطيط وتنسيق ومتابعة تعكس برامجها الحاجات الحقيقيّـة للحقل الثقافي في كل جهة .

•تنظيـــم العـــلاقة بـين اللجـان والمندوبيـات الجهويـة بما يسخّـر الإدارة جهازا تنفيذيا.

• إصدار القوانين الأساسيّة لدور الثقـافة والمراكز الجهوية للفنون الركحية ومعاهد الموسيقى الجهوية والمتاحف والمهرجـانات.

• إعادة الاعتبار للجنة الثقافية الوطنيّة بما يجعلها تتحوّل إلى مجلس أعلى للثقافة تمثّل في صلبـه اللجان الثـقافية الجهوية وكل أصناف الفاعلين الثقافيين تمثيلا ديمقراطيا وتعهد إليه مهمـة رسـم السياسة الثقافية ودراسة المشاريع الكبرى قبل إقرارها.

• تأهيل المؤسسات الوطنيّة المرجعيّة على نحو يجعلها تعمل كوحدات تصرّف حسب الأهداف تجدد عقود القائمين عليها دوريا ويراعى فيها تطـويـر العلاقة بينها وبين المبادرات الخاصة والفاعلين والمبدعين في مجال اختصاصها.

والغاية من مثل هذه الإجراءات هي تخلّي الإدارة الثقافيّة عن دور المنتج المباشر للفعل الثقافي وإفساح المجال للفاعلين الثقافيين والمبدعين حتـى يتملّكـوا فعلهم وينهضوا بتصوّر سبل تطويـره وتنميته. بذلك تكون الإدارة العصريـة في حـال إصغاء لمشاغل الفاعلين والمبدعين ويتركز دورها بالأساس على تـوفير الظروف الموضوعيّة والوسائل اللازمة لتنفيذ البرامج على نحو يوسّع قاعدة المشاركة. وهذا يقتضي تنسيقا محكما بين اللجان الثقافية والمؤسسات التربوية والشبابية ومؤسّسات التعليم العالي، كما يقتضي تقليص الفجوة بين العاصمة وبقيّة الجهات الداخلية من حيث مراجع الإبداع ومصادره المادية والفنيّة بالإضافة إلى تطوير البنية الأساسية وإحياء الصندوق الوطني لدعم الإبداع الثقافي وتنويع مصادر تمويله مع مزيد تطـوير التشريعات التي تحفّـز المؤسسات على التبني وتطوير آليات الدعم و المتابعة و التقييم. ولا بد من إصدار القانون الأساسي للمبدع واستكمال المنظومة التشريعيّة لحماية حقوق المؤلفين ومنظومة التغطية الصحيّة للفنانين والمبدعين. المحور الثاني هو محور تنمية الصناعات الثقافية وتسهيل اندماجها في النسيج الاقتصادي والنهوض بصناعة المحتوى والانخراط في مجتمع المعلومات والإفادة من الثورة الرقميّة. فلا بـدّ مـن إنجـاز دراسة استراتيجيّة استشرافيّة حـول سبل تطوير الصناعات الثقافية تبـرز المعطيـات والمؤشرات الاقتصادية والاجتماعية التي من شأنها أن تحدث نقلة نوعيّة في أذهان أصحاب القرار والمستثمرين. بذلك يتم تطوير الاستثمار في الصناعات الثقافية وتحفيز الجهاز البنكي وتحسين آليات ضمان القروض بما يشجع حاملي الشهادات العليا على المبادرة في هذا المجال وبما يخلق مزيدا من مواطن الشغل فيه. وقد اقترح في سياق هذا المحور الذي يكتسي أهمية حيوية إحداث مؤسستين مدعوّتين للاضطلاع بدور القاطرة وهما على التوالي:

2-1 المركز الوطني للكتاب و الكتاب الإلكتروني

ويعنى بملفات النشر والترويج من خلال آليات دعم مختلفة لفائدة المتدخلين في سلسلة مهن الكتاب مع التركيز بالخصوص على مساندة دور النشر والتوزيع وتأهيلها وتيسير ترويج الكتاب التونسي في الخارج وعبر الوسائط الرقمية.

2-2 المركز الوطني لإنتاج الصّورة

هذا المركز مدعو بالأساس للنهوض بالإنتاج السينمائي والتلفزي في آن وكسر الحواجز المصطنعة والبالية التي ظلت قائمة بين الصنفين في بلدنا رغم رهانات الثورة الرقمية التي تقتضي اليوم أن يكون نهوضنا بإنتاج الصورة قائما على مقاربة مندمجة تتكامل فيها الأدوار وتتعاضد فيها الجهود من أجل تحقيق حضور أفضل للصورة التونسية على شاشة السّينما وشاشة التلفاز وفي المنصات الرقمية. ذلك أن الرهان حضاري واقتصادي في آن ولا يمكن كسبه إلا إذا تكاملت جهود كل الفاعلين.

لكن هـذه الأداة لن تـؤتي أكلها إلاّ إذا طوّرنا ونوّعنـا مصـادر تمويل الإنتاج وانتهجنا سيـاسـة إراديّة في التشجيـع على إحداث القاعات والمجمّعـات. فلا بد أن يعاد للقاعة اعتبارها وأن يسهّل انخراطها في شبكات التوزيع العالميّة. وعلى شباك التذاكر أن يسهم في تمويل إنتاج الصورة الوطنيّة .

المحور الثالث: السياحة الثقافيّة

إن رصيد تونس التّراثي و مناخها وذكاء بناتها و أبنائها كلها عوامل تؤهلها لأن تكون قبلة للسياحة الثقافيّة الراقيّة .كما أن تطوّر سوق السياحة العالمي يفرض علينا السعي بجد إلى تطوير سياحتنا الثقافيّة و الإمعان في ذلك بـ:

• استكمال تهيئة المواقع المهمة وتوفير المرافق فيها وتنشيطها بتظاهرات فنية تصنع الحدث وتستقطب اهتمام الزائر.

• تأهيل المتحف على غرار ما تمّ في متاحف باردو وسوسة وجربة بتمويل من البنك الدولي.

تطـوير المهـرجانـات الـدولية الكبرى (قرطـاج، الحمـامات، الجـم، طبرقة، أيام قرطاج السنمائيّة والمسرحيّة) بإكسابها الشخصيّة القانونيّة وأدوات الاستمراريّة لجعلها قادرة في برمجتها على استقطاب أسمـاء وأعمال فنيّة ذات مستوى رفيـع وصـيت عـالمي بما يـجعـل هـذه المهـرجانات تخلق الحدث اللاّفت الذي يمكـن تسويقه قبـل وقت كاف ضمن حزم تتضمّـن عروضا فنيّة وزيارات إلى مواقع و متاحف. وما قلناه عن المهرجانات يمكن أن ينطبـق أيضـا على دار الأوبرا في مدينة الثقافة المستحدثة إذا ما أصبحت تنظم مـوسـما شتـويا يضبط برنامجه قبل وقت كـاف ويتضـمّـن نجـوم الأوبرا والبـالي ويتم الترويج له في العواصم العالميّـة بحملات اتصالية مركّزة عبر كل الوسـائط تستهـدف تسويق كل أصناف المنتج السياحي الثقافي التونسي.

هذه الخطوط العريضة لمشـروع خـطة تستهـدف تنميّة الثقـافة الوطنيّة. وكان أصحـاب هذا المشروع يأملون أن يشكّل ورقة عمل أولية لاستشارة وطنيّة موسّعة حول مستقبل الثقافة في تونس فيتمّ، بالحوار، إثراؤه وتطويره أو تعديله إن لزم الأمر. لكن الاستشارة التي وُعدنا بها قبل الانتخابات لم تنظم بعدها وضاع المشروع كغيره من المشاريع في متاهات الخلافات السياسوية التي عصفت بالنداء وأفقدته جوهر الرسالة التي حفّزت على الالتـفاف حوله.فعسى أن يـدرس صناع القرار اليوم فكرة تنظيم هذه الاستشارة لأنّ مسألة تنميّة الثقافة الوطنيّة جديـرة، في رأينـا، بأن تكـون مـوضـوعـا لحوار وطني محكم التنظيم ولأنّ نجاحنا في استئناف ديـنـاميكيّة التنميّة الشاملة والمستدامة وفي مغامرة الانتقال الديمقراطي وفي تركيز اللامركزية والديمقراطية المحليّة وفي توسيع قاعدة المشاركة يتوقّف إلى حد بعيد على حسن مقاربتنا للشأن الثقافي بمعناه الأشمل مقاربـة تخـرج بمسألة التنميّة الثقافيّة من دائرة «تصـورات المـوظفين» إلى الأفق الأرحب..

ر.ب

#SAYEFI
You Tube
//radio med @radiomedtn @radiomedtunisie
ou via notre Site Web
www.radiomedtunisie.com
NABEUL HAMMAMET 100.0 FM
TUNIS CAP BON 104.1 FM
الموجة ألى تزهيك
Cité El Wafa Nabeul Jadida , 8000 Nabeul-Tunisie
(+216) 72 328 500 (+216) 72 328 560 marketing@radiomedtunisie.com

البحر مُلْهِمًا للشّعراء

صَبَوَاتٌ في هيكل البحر

فقد اقترن عندهم أحيانا بالسّهرات اللّيليّة وأجواء الأنس والاحتفال لأنّ للبحر كرنفالا في أكثر من مرفإ ومدينة، وارتبط عند آخرين بذكريات الصّبا والشّباب ولقاءات العشّاق والمحبّين، واتّخذه بعضهم سببا للتّأمّل والتّفكير والغوص على ما ينطوي عليه جلال البحر من غموض وأسرار. ورأى البعض الآخر أنّ في البحر عرائس بشريّة من الحور العين فوصفهنّ سابحات تلاعبن الموج والزّبد.

البحر فضاء الاحتفاء والمؤانسة

إذا التقت فتنة البحر مع سحر المدائن التّاريخيّة وألق الاحتفالات الكرنفاليّة فلن يكون ذلك إلّا ملهما لقرائح الشّعراء مُذكيا لخوالج الحسّ والشّعور، وقد صادفت زيارة الشّاعر المصريّ علي محمود طه لمدينة «فينيسيا» الإيطاليّة صيف عام 1938 ليالي الكرنفال المشهورة، إذ يحتفل الفينيسيّون بها أروع احتفال فينطلقون جماعات كلّ منها في جُندول (قارب طويل ورقيق) مزدان بالمصابيح الملوّنة وضفائر الورد، ويمرّون في قنوات المدينة بين قصورها التّاريخيّة وجسورها الرّائعة وهم يمرحون ويغنّون في أزيائهم التّنكّريّة البهجة فأوحى هذا الجوّ الفاتن إلى الشّاعر بقصيدة «أغنية الجندول» التّي نظمها تخليدا لهذه الزّيارة ثمّ أصبحت بدورها أغنية خالدة من أغاني الموسيقار محمّد عبد الوهاب:

أَيْـنَ مِـنْ عَيْنَـيَّ هَـاتِيـكَ المَجَـالِي ... يَا عَـرُوسَ البَحْـرِ يَا حُلْـمَ الخَيَـالِ
أَيْـنَ عُـشَّاقُـكِ سُمَّـارُ اللَّيَـالِي ... أَيْـنَ مِـنْ وَادِيـكِ يَا مَـهْـدَ الجَـمَـالِ
مَـوْكِبُ الغِيـدِ وعِيـدُ الكَـرْنَـفَـالِ ... وَسُـرَى الجُنْـدُولِ فِي عَـرْضِ القَنَـالِ

أَيْـنَ مِنِّـي الآنَ أَحْـلَامُ البُحَيْرَهْ
وَسَمَـاءٌ كَسَتِ الشُّطْـآنَ نَضْـرَهْ
مَنْـزِلٍ مِنْـهَا عَلَى قِمَّـةِ صَخْـرَهْ
ذَاتِ عَيْـنٍ مِـنْ مَعِيـنِ المَاءِ ثَرَّه

أَيْـنَ مِـنْ فَـارْسُوفِيَـا تِلْـكَ المَجَالِي ... يَا عَـرُوسَ البَحْـرِ يَا حُلْـمَ الخَيَـالِ
قُلْـتُ والنَّشْـوَةُ تَسْـرِي فِي لِسَانِـي: ... هَـاجَتِ الذِّكْـرَى فَأَيْـنَ الهَـرَمَـانِ؟
أَيْـنَ وَادِي السِّحْـرِ صَـدَّاحُ المَغَـانِي؟ ... أَيْـنَ مَـاءُ النِّيـلِ؟ أَيْـنَ الضِّفَّـتَـانِ؟

آه لَـوْ كُنْـتَ مَعِي نَخْتَـالُ عَبْرَهْ
بِشِـرَاعٍ تَسْبَـحُ الأَنْـجُمُ إِثْـرَهْ
حَيْـثُ يَـرْوِي المَـوْجُ فِي أَرْخَمِ نَبْرَهْ
حُـلْـمَ لَيْلٍ مِنْ لَيَـالِي كَلِيُوبَـتْـرَهْ

وما إن نُشرت قصيدة «أغنية الجندول» حتّى كتبت إحدى المعجبات إلى الشّاعر تقول: «قرأتُ لك عن ليلة النّيل والموج وهو يروي حلم ليلة من ليالي كليوبترة فهلّا وصفتَ لنا ليلة من تلك اللّيالي؟ وهل لنا بصورة حلم من أحلامها؟» ، فكتب علي محمود طه قصيدة «ليالي

> **تنعقد بين الشّعراء وبين الطّبيعة وعناصرها والكون وعوالمه وشائج لا تخلو من إثارة وتعجيب، فقد تغنّوا بالليل وسكونه وشكوا إليه مواجدهم وأحزانهم كما سهروا مع السّماء وأقمارها وناجوا كواكبها ونجومها، ووصفوا الصّحراء وامتدادها وأعجبوا برمالها الذهبيّة وسرابها يتراءى أودية وأنهارا. غير أنّ لهم مع البحر شأنا وأيّ شأن !**

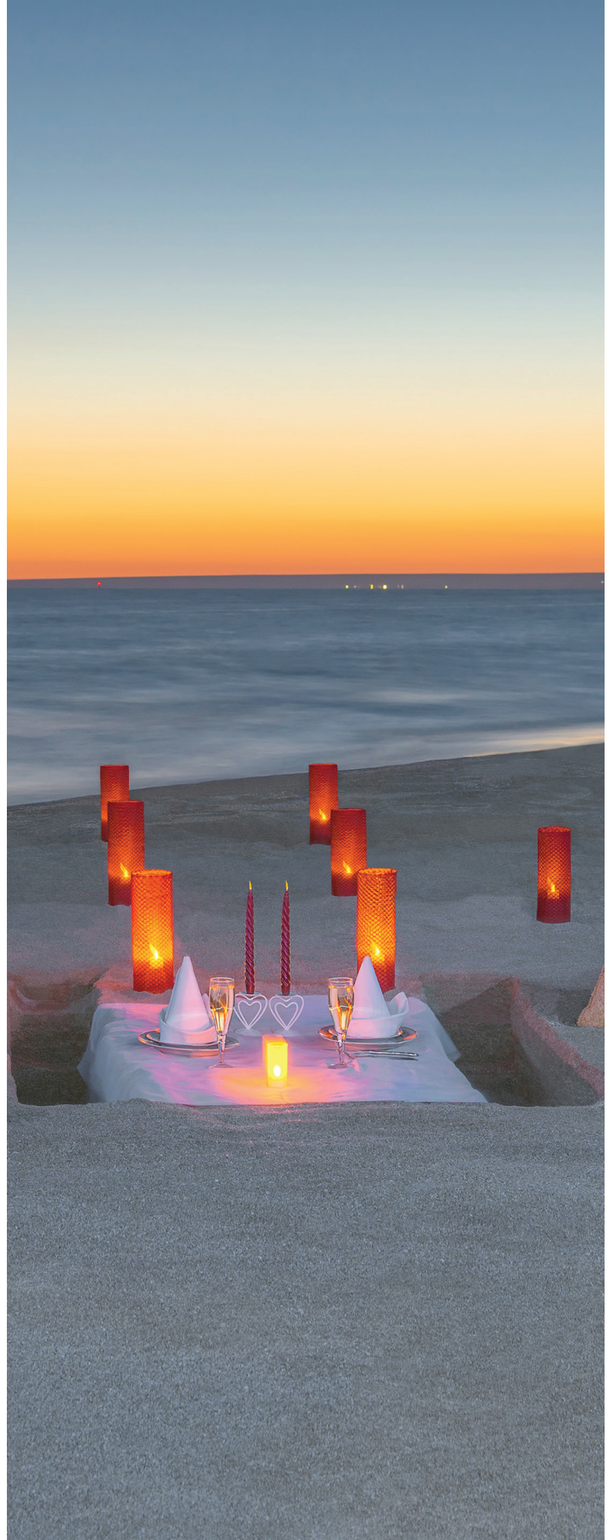

كليوبترة» وأهداها إلى صاحبة تلك الإثارة الرّائعة وحوّل السّهر والمؤانسة والاحتفال من سواحل «فينيسيا» عروس الأدرياتيك إلى ضفاف النّيل:

كِلِـيُوبَـــتْرَا ! أَيُّ حُلْمٍ مِنْ لَيَـالِيكِ الحِـسَانِ
طَافَ بِالـمَـوْجِ فَـغَـنَّى وتَـغَـنَّى الشَّـاطِـئَانِ
وَهَـفَـا كُـلُّ فُـؤَادٍ وشَـدَا كُـلُّ لِسَـانِ
هَـذِهِ فَـاتِـنَةُ الدُّنْـيَـا وَحَسْـنَاءُ الزَّمَـانِ

بُعِثَـتْ فِي زَوْرَقٍ مُسْتَلْهَمٍ مِـنْ كُـلِّ فَـنٍّ
مَرِحِ المِجْـدَافِ يَخْتَالُ بِحَـوْرَاءَ تُـغَـنِّي

يَا حَبِيبِـي هَـذِهِ لَيْلَـةُ حُـبِّـي
آه لَـوْ شَـارَكْتَنِي أَفْـرَاحَ قَلْبِـي

اصْدَحِي أَيَّتُـهَا الأَرْوَاحُ بِالـلَّحْـنِ البَـدِيـعِ
امْـرَحِي يَا رَاقِصَاتِ الضَّوْءِ بِالمَـوْجِ الخَلِـيـعِ
قَبِّلِـي تَحْـتَ شِـرَاعِي حُلُـمَ الفَـنِّ الرَّفِيعِ
زَوْرَقًـا بَيْـنَ ضِـفَـافِ النِّيلِ فِي لَيْـلِ الرَّبِيعِ

رَنَّـحَتْهُ مَوْجَةٌ تَلْعَبُ فِي ضَـوْءِ النُّجُـومِ
وَتُنَادِي بِشُعَاعٍ رَاقِـصٍ فَـوْقَ الغُيُـومِ

يَـا حَـبِيبِـي هَـذِهِ لَيْلَةُ حُـبِّي
آه لَـوْ شَارَكْتَـنِي أَفْـرَاحَ قَلْبِـي

البحر ذاكرة العشّاق

قد يرتبط البحر عند بعض الشّعراء بالذّكرى، فهو يستثير ما مضى من عهود الشّباب النّضرة ويُحيي ما انقضى من أيّام المباهج والمسرّات الرّائقة ولا سيّما قصص الغرام القديم، من ذلك قصيدة «الشّاطئ المهجور»لعلي محمود طه، إذ يعود فيها إلى شاطئ شهد لقاءات له بحبيبته فيسترجع عهودا مضت ويذكر الصّخرة التّي كانا يرقبان منها مغرب الشّمس واللّيلة القمراء التّي كانا يتناجيان في ضوئها وصفحة الماء تنعكس عليها النّجوم الزّهر والزّورق الذّي استقلّاه في نزهة بحريّة فيقول:

وَتَبَـيَّنْـتُ فِي الشَّـوَاطِـئِ حَـوْلِـي ... أَثَـرًا مِـنْ غَـرَامِـنَا المَـأْثُـورِ
صَـخْـرَةً كَانَـتِ المَـلَاذَ لِقَلْـبَـيْـنِ ... حَبِيبَـيْـنِ فِي الشَّـبَـابِ النَّضِـيـرِ
كَـمْ وَقَفْـنَـا العَـشِيَّ نَـرْقُبُ مِنْـهَا ... مَـغْـرِبَ الشَّـمْـسِ وانْبِثَـاقَ البُـدُورِ
وَجَـلَسْـنَـا فِي ظِـلِّـهَا نَتَـمَـلَّـى ... صَفْحَـةَ المَـاءِ فِي الضُّحَـى والبُـكُـورِ
فَإِذَا مَـا تَهَـلَّلَتْ لَـيْلَـةٌ قَـمْـرَاءُ ... هَـرَبْـنَـا نَخْـفِـيَّ الشُّـعُـورِ
وَسَـرَيْـنَـا فِي ضَـوْئِهَا نَتَـنَـاجَى ... بِهَـوًى فَـاضَ عَـنْ حَنَـايَا الصُّـدُورِ
وَانْتَحَيْـنَـا مِـنْ جَـانِبِ البَحْـرِ مَجْرَى ... مُـطْـمَـئِنَّ الأَمْـوَاهِ شَـاجِي الخَرِيرِ
نَزَلَـتْ فِيـهِ تَسْتَـحِـمُّ الـنُّـجُـومُ ... الـزُّهْـرُ فِي جَلْـوَةِ المَـاءِ المُنِـيرِ
رَاقِـصَـاتٍ بِـهِ عَلَى هَـزَجِ المَـوْجِ ... عَـرَايَـا مُـهَـدَّلَاتِ الشُّـعُـورِ
وَعَلَى صَـدْرِهِ الخَـفُـوقِ طَـوَيْـنَـا ... اللَّـيْـلَ فِي زَوْرَقٍ رَخِـيِّ المَسِـيرِ

أَمّا نور الدّين صمّود فيتحدّث في قصيدة له عنوانها «ذكريات السّاحل اللّازوردي» من مجموعته «رحلة في العبير» عن ذكرى لقاء له بغادة حسناء على شاطئ البحر فيقول:

وَسِـــرْنَا عَـلَى الرَّمْـلِ فِي نَـشْـــوَةٍ ... كَـأَنَّـا صَـدِيقَـانِ مُـنْـذُ الصِّـغَـــرْ
أَصَـابِـعُـنَـا فِي اشْـتِـبَـاكٍ رَفِـيـقِ ... وَكَـفِّـيَ تَنْسُـجُ فَـجْـرَ الشَّـعَـــرْ
وَكَـــادَتْ شُـمُـوعُ الـيَـدَيْنِ تَـذُوبُ ... وَكَـادَتْ نُـهُـورُ الضِّـيَا تَنْـهَـمِـرْ
وَلَاحَـتْ عَلَى الرَّمْـلِ تِمْـثَـالَ حُـسْـنٍ ... جَـمِـيـلًا جَمِـيـلًا يَـبُـثُّ الخَـدَرْ
فَتَـغْـمُـرُنِي نَـشْـوَةٌ لَا تُـحَـدُّ ... كَسِحْـرِ الشَّـذَى فِي مَطَـاوِي الـزَّهَرْ

البحر فردوس عرائس الموج

من المواضيع الأثيرة عند شعراء البحر تصوير المرأة سابحة بين أمواجه، وتتميّز هذه الصّور بما يعمد إليه الشّعراء من إجراء تناغم وتجاوب بين الجسد الأنثويّ وبديع مفاتنه ومتّسق حركاته وبين الأمواه تطاوع الجسد وتُساوقه وتوافقـه وبين الأضواء والألوان تُداخل المشهد وتُضفي عليه أبعادها الفنيّة التّشكيليّة فيصير القارئ إزاء لوحة من صميم الفنّ يمتزج فيها الشّعر والرّسم والرّقص ويستحيل البحر فردوسا لحوريّات الموج وعرائسه.

ولعلّ أروع القصائد في هذا الباب قصيدة مصطفى خريّف «حوريّة الموج» التّي يصوّر فيها على نحو مبهر عجيب اندغام جسد سابحة حسناء في أمواج البحر والتحامهما واتّحادهما حتّى صار الجسد قطعة من لجّ البحر ذُوّبت فيه وصار الموج جزءا من الجسد صُهر في معدنه فكأنّ الواحد منهما سُكب في الآخر وأُفرغ فيه فباتا كُلّا لا يَنْقَصِمُ:

شَـفَّ صَـدْرُ البَحْـرُ عَـنْ سِـرِّ الجَلَالِ ... وَطَـفَـقْـتُ فِـيـهِ الـلَّآلِي
فَـوْقَ مَـوْجٍ فَـاضَ مِـنْ سِحْرِ الجَمَالِ ... فَـاقَ تَـصْـوِيـرَ الخَـيَـالِ

جَـالَ فِي حُـسْـنٍ وإِشْـرَاقِ
مُـسْـتَـجِـيشًا مِـثْـلَ أَشْـوَاقِـي
حِـيـنَ أَكْسُـوهَا بَـدِيـعًا مِـنْ بَيَانِي

هَلْ عَـلَى صَـدْرِكِ فَـاضَـتْ مَـوْجَتَـانِ ... بِالـهَـوَى تَـرْتَـعِـشَـانِ
تِـلْـكَ أَمْ أَزْهَـارُ آسٍ تَـتَـفَـتَّـقْ ... فِـي أَدِيـمٍ لَاحَ أَزْرَقْ
أَمْ نُجُـومٌ فِي سَـمَـاءٍ تَـتَـأَلَّـقْ ... وَتُـغَـنِّـي وَتُـنَـصَّـفُـقْ

مَـحْـفَـلٌ جَـاءَ يُـحَـيِّـيـكِ
وَيُـنَـاجِـيـكِ وَيَـفْـدِيـكِ
يَا عَـذَارَى البَحْـرِ أَنْـتُـنَّ لَـدَيْـهَا

فَتَـسَـابَـقْـنَ إِذَنْ بَيْـنَ يَـدَيْـهَا ... وَتَـهَـافَـتْـنَ عَـلَـيْـهَـا

والمحصّل أنّ الشّعراء العرب قد اختلفت زوايا نظرهم إلى «تيمة» Thème البحر وتنوّعت طرائق تناولهم لها، فمنهم من اتّخذ البحر موضوعا وصفيّا ومنهم من اتّخذه موضوعا عاطفيّا ومنهم من جعله موضوعا فلسفيّا تأمّليّا، ورغم ذلك فإنّ الثّابت هو أنّ البحر قد أَصْباهم وشاقهم واستهواهم فكان القاسم المشترك لأشعارهم فيه صبوات في هيكل البحر.

ح.د.

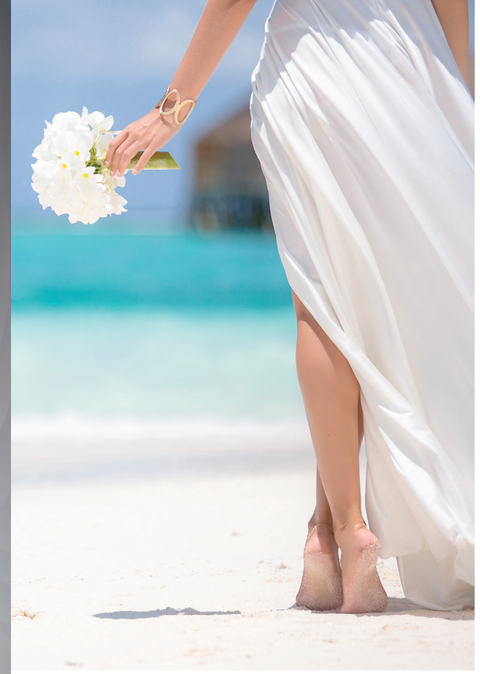

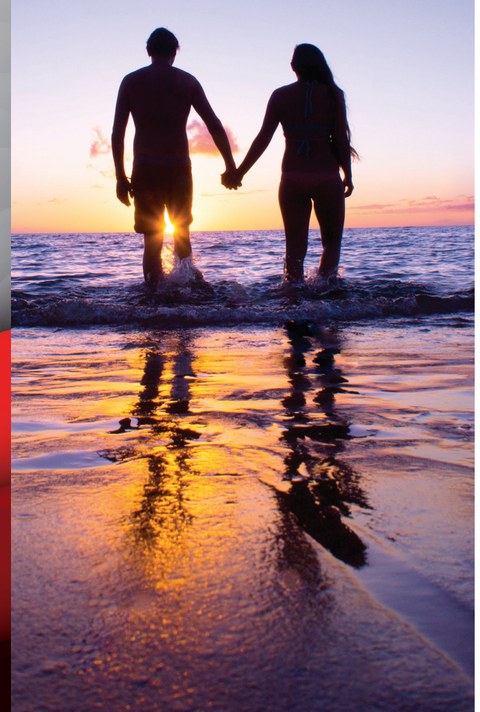

ليدرز العربية Leaders

اشترك الآن

تصلكم مباشرة
المجلّة بأوفر ثمن

د.ت
25
فقط / سنويا

Leaders
اشتراك مزدوج
د.ت 55
فقط / سنويا
ليدرز العربية

استمارة اشتراك

المشترك:

الهاتف: الفاكس: البريد الالكتروني:

العنوان: الترقيم البريدي: البلاد:

عدد الاشتراكات:

طريقة التسديد: ☐ صكّ بنكي ☐ تحويل بنكي ☐ حوّالة بريدية

تحويل باسم بي ار فاتوري
CCB DEVISES 08 008 00067 59 001093 3 03
CCB TND 08 008 00067 10 01274 0 71

Leaders Tunisie

شركة عقارية قمرت
شركة خفيّة الإسم رأس مالها 000 000 1 دينار
مقرّها الاجتماعي: عمارة الكرامة القابضة بحيرة أناسي
ممرّ بحيرة الملاوي ضفاف البحيرة 1053 تونس
425194L/P/M/000 المعرّف الجبائي:
الهاتف: 218 962 71 216+ أو 100 960 71 216+
الهاتف الجوال: 000 910 98 216+ الفاكس: 175 962 71 216+
www.gammarth-immobiliere.tn
Contact@gammarth-immobiliere.tn

GAMMARTH
IMMOBILIERE

إعلان بيع
طلب عروض عدد 25 لسنة 2017

تعتزم شركة «عقارية قمرت»، شركة على ملك الدّولة خاضعة لأحكام القانون التونسي، الإعلان عن طلب عروض للتفويت رضائيا لحساب الدولة وبتوكيل **منها في عدد (03) عقارات بالمرازقة -الحمامات** وفي عدد (01) رسم عقاريّ كائن بحمام سوسة منطقة «الحمادة الكبيرة» جنوب خليج الملائكة- تونس **(أقساط مستقلّة) :**

القسط	العقار	الرّسم العقاري	العنوان / الموقع	الوصف	مساحة العقار	المساحة المغطاة
I	فيلا جنان	544494 نابل	تقسيم بيت الخير إقامة «جنان» بالمنطة السياحية بالمرازقة – الحمامات، على بعد أمتار من البحر.	فيلا1+R تتطلب أشغال صيانة، بها حديقة مهيّأة (حوالي 402 م²) ومسبح	711 م²	638 م²
II	فيلا البركة I	564593 نابل		فيلا1+R مع طابق ثاني جزئي، بها حديقة مهيّأة (حوالي 118 م²)	320 م²	477 م²
III	فيلا البركة II	563270 نابل		فيلا1+R مع حديقة مهيأة (حوالي 202 م²)	400 م²	383 م²

القسط Lot	الرّسم Titre Foncier	إسم الرّسم / القطع Nom du Titre / Parcelles	المساحة Superficie (م²m)	المساحة موضوع التّفويت Superficie à céder (م²m)	الصّبغة المبرمجة Vocation projetée	العلو المبرمج Hauteur projeté
IV	24487 سوسة	الوادي 20 القطعة 974	1 246	1 246	UAa2	R+2 /12 m

يمكن الإطلاع على الأمثلة الموقعيّة للعقارات على الرابط www.gammarth-immobiliere.tn أو مباشرة بالمقر الاجتماعي لشركة «عقارية قمرت».

كل الرّسوم العقارية والمنقولات موضوع طلب العروض **خالية من الرّهون أو التحملات** وترجع بالملكية إلى الدّولة التونسية وهي مدرجة ضمن ملك الدولة الخاص. هذه الملكية التي إكتسبتها الدولة بمقتضى قرارات المصادرة تطبيقا للمرسوم عدد 13 لسنة 2011.

يتعلق البيع بالعقارات و المنقولات و التجهيزات على الحالة التي هي عليها وكما تقع معاينتها من قبل المشاركين ومستشاريهم وتحت مس

ؤوليتهم وتضمن عقارية قمرت والدولة التونسية للمشتري استحقاق المبيع وتمنعان عنه كل شغب مادي أو قانوني مصدره الغير وتكونان متضامنتان معه قضائيا في حال نشوب نزاع لاحق بسبب انتقال الملكية اليه.

يمكن لكل شخص طبيعي أو معنوي يرغب في المشاركة في طلب العروض الحالي زيارة ومعاينة الأقساط الموضوعة للبيع. وتجرى الزيارات بمواعيد مسبقة طيلة الفترة الممتدة من **31 جويلية إلى 12 سبتمبر2017.** ويتمّ تحديد الموعد عن طريق طلب يقدّم إلى «عقارية قمرت» طبقا للشروط المحددة بكراس الشروط وبعد سحبها مقابل خلاص مبلغ غير قابل للاسترجاع قدره مائة دينار (100 د) نقدا أو بواسطة صك يسلّم إلى القسم المالي للشركة أو بفرعها الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة خلال التوقيت الإداري.
يمكن المشاركة حسب الاختيار في قسط أو أكثر وترسل العروض في ظروف مغلقة ومختومة عن طريق البريد مضمون الوصول أو البريد السريع أو تودع مباشرة مقابل وصل في الاستلام لدى مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت. ويحمل الظرف الخارجي وجوبا التنصيصات التالية:

المرسل إليه : شركة «عقارية قمرت»

العنوان : نهج بحيرة أناسي – ممر بحيرة الملاوي عمارة الكرامة القابضة ضفاف البحيرة 1053 تونس

الموضوع : المشاركة في طلب العروض عدد25 لسنة 2017

« لا يفتح من قبل مصالح مكتب الضبط»

يتكونّ ملف العرض المضمّن بالظرف الخارجي من جميع الوثائق الإدارية والمالية المرتّبة من «أ» إلى»ح» والمنصوص عليها بالفصل 8 المتعلق بمحتوى العروض بما في ذلك ضمان المشاركة طبقا لمقتضيات كراس الشروط والمحدد جزافيا بمبلغ عشرون ألف دينار **(20.000 د)** بالنّسبة لكلّ من الأقساط I إلى III و ألفي دينار **(2.000 د)** بالنّسبة للقسط IV.

حدّد آخر أجل لقبول العروض ليوم الخميس **14 سبتمبر 2017** على السّاعة الرابعة بعد الزوال (16س00). ويعتمد ختم مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت كمرجع وحيد لإثبات تاريخ وصول العروض. وتنعقد جلسة فتح العروض العلنية في نفس اليوم على الساعة الرابعة والنصف بعد الزوال (16س30) بالمقر الاجتماعي للشركة بحضور عدل تنفيذ والعارضين أو من يمثلهم (مصحوبين بإثبات هوية وبتوكيل). ويبقى المشاركون ملزمين بعروضهم لمدة **مائة وخمسون (150) يوما** بداية من اليوم الموالي للتاريخ الأقصى المحدد لقبول العروض.

لمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة على الأرقام:
(000 910 98 216+ أو 037 369 73 216+ أو 100 960 71 216+).

في فضل الكلام على السّكوت

الصمت

هو غياب الصّوت وانعدامه؛ ولا يكون مُطْلقا، إلاّ إذا بلغتْ درجةُ الحرارة الصّفرَ المطلقَ، أي 273 درجة مئويّة تحت الصّفر؛ والصّوت، هو، فيزيائيًا، اهتزازُ جزيئاتٍ في جسم مَرِن؛ أو موجةٌ قادرة على التّحرّك في أوساطَ مادّيّةٍ مختلفةٍ، صلبةٍ، أو سائلةٍ، أو غازيّة؛ وهناك الموجات المسموعة، التي تتبيّنها الأذن البشريّة، وهي التي تقع ترددّاتها بين 20 و20000 هرتز؛ فإذا تجاوزت ذَيْنَكَ الحدّيْن، نزولا أو صعودا، صارت دون السّمع، أو فوق السّمع؛ ومثالُ ما دون السّمع، حركةُ طبقات قشرة الأرض، وهي تنزلق، منبئةً بالزّلازل والبراكين. وكأنّ ما تأتيه بعض الحكومات، لا يتخطّى 20 هرتز؛ وكأنّ الزّلزال يحتدم في رحم الأرض، ولا أحد يسمع؛ غير أنّ بعض الحيوانات، على غرار الكلاب، وعكس الإنسان، تستطيع أن تتبيّن تلك الذّبذبات؛ وليس سبّةً أنْ تنعتَ أحدَهم بالكلب، فطوبى للكلاب التي تستقرئ ما لا نستقرئ بمراصدنا وأقمارنا وعلمنا. أمّا وحدة قياس الصّوت، فهي الدّيسبل؛ ويمكن اعتبار الجوّ هادئا، إذا كان ارتفاع الصّوت في حدود أربعين ديسبل؛ فالحوار بين مجموعة من النّاس المهذّبين المحترمين، مثلي ومثلكم، ينحصر عادة بين 60 و80 ديسبل؛ فإذا بلغ المائة والعشرين، أصاب الأذن ببعض من الألم؛ فإذا تجاوز، كما هو الشّأن تحت قبّة البرلمان، ثَقَبَ الطّبلة... والكلام، في غير موضع الكلام، مصيبة؛ كذلك، الصّمت، في غير موضع الصّمت! وليس صحيحا أنّ الكلامَ من فضّة، والسّكوتَ من ذهب؛ وفي كلّ الحالات، نتمنّى على الحكومة أن تتكلّم، حتّى لو كان كلامها من قصدير؛ فالله كلّم موسى تكليما، ليُسمعه ويُفهمه، فسمع وفهم؛ «وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ»؛ وجاء في القرآن الكريم:»واحلُلْ عقدةً من لساني يفقهوا قولي». مَنْ ذا الذي يحلل عقدةً من لسان الحكومة؟، وهي التي بالكاد تُتَأْتِئ؛ وجاء أيضا: «وأخي هارون هو أفصح منّي لسانا»؛ و«ويضيق صدري ولا ينطلق لساني»؛ أما آن للحكومة أن ينطلق لسانها، فينفرج صدرها؛ وقال تعالى: «ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين»؛ وسُئل أحدهم، عن الكلام والسّكوت أيّهما أفضل؟ فقال: «لكلّ واحدٍ منهما آفاتٌ، فإذا سَلِما من الآفات، فالكلام أفضل من السّكوت، لأنّ الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسّكوت، إنّما بعثهم بالكلام، ولا استُحِقّت الجنّة بالسّكوت، ولا استُوجبت ولاية الله بالسّكوت، ولا تُوقّيت النّار بالسّكوت، إنّما ذلك كلّه بالكلام، ما كنتُ لأعدل القمرَ بالشّمس، إنّك تصف فَضْلَ السّكوت بالكلام، ولست تصف فضلَ الكلام بالسّكوت»؛ وقال حكيم: «إذا أعجبك الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصّمت فتكلّم»؛ ويقال: رجل شريف أوفى بكلامه؛ ولا يُقال رجل شريف أوفى بصمته؛ فبماذا توفي الحكومة، وهي لا تنطق؟. وتخطئ الحكومة حين تصمت؛ فللصّمت ثمن، مثلما للكلام ثمن؛ ولعلّها تعمل بالحكمة التي تقول: «من الأفضل أن تظلّ صامتا، ويقولَ عنك النّاس غبيّ؛ خير من أن تتكلّم، فترفعَ من أذهانهم كلّ شكّ»... لكلّ شيء صوت؛ للصّخر قرقعته، إذْ يتشقّق؛ وللنّار زئيرها، إذْ تلتهب؛ وللماء خريره، إذْ ينساب؛ وللرّيح زفيرها، إذْ تزفّ؛ وللورق حفيفه، إذْ يهفّ؛ وللنّحل طنينه، إذْ يرفّ؛ وللرّعد جلجلته، إذْ يحتدم؛ وللسّلاح قعقعته، إذْ يلتحم؛ وللفرس حمحمته، إذْ يجمح؛ وللرّصاص دمدمته، إذْ ينفجر. إلاّ الحكومة، فليس لها صوت... رَجُلٌ أتى في حياته، من المعاصي، ما خفّ منها، وما ثقل؛ فقرّر أن يتوب توبة نصوحا، فهاجر إلى دَيْرٍ منعزل في الصّحراء؛ فقال له الرّهبان هناك: «إنّنا نصوم عن الكلام، فلا نلفظ إلاّ لفظيْن اثنين، كلّ عشر سنوات؛ ومضت سنوات عشر، والرّجل لا يتكلّم؛ فلمّا أتمّها، أشار إليه كبير الكهنة أن ينطق بكلمتيْه؛ فقال: «الطّعام بارد»؛ ثمّ سكت عشر سنوات أُخَر؛ فلمّا أتمّها، نطق بكلمتيْه: «الفراش صلد»؛ ومضى من الزّمن عقد، كلمح البصر، وجاء الرّجل، يقول كلمتيْه: «إنّي راحل!»؛ فردّ كبير الكهنة: «لا أستغرب قرارك، فأنت لم تتوقّف عن الشّكوى، منذ حللتَ بهذا الدّيْر!».

ص.و.

بقلم الصحبي الومابيي